

الفصل الأول :-

فنلندا أرض البحيرات والجزر

obeyikanda.com

فنلندا

فنلندا إحدى دول شمال أوروبا أو "نوردين" حيث شاعت هذه التسمية منذ الحرب العالمية الأولى وتعني "الشمال" في اللغات الأسكندنافية وتضم إضافة إلى فنلندا كلا من النرويج والسويد والدنمارك وأيسلنده، أما دول "أسكندنافيا" فتضم السويد والدنمارك والنرويج، وتتكون شبه جزيرة أسكندنافيا من السويد والنرويج وهي كلمة مركبة من أصل نوردي "سكاندن" وتعني الظلام أو الضباب و "افيا" معناها جزيرة او شبه جزيرة أي أن "أسكندنافيا" تعني (جزيرة الضباب والظلام).

ولعل من أبرز عوامل الإرتباط بين دول أسكندنافيا الثلاث هو تشابه لغاتها السويدية والدنماركية والنرويجية ذات الأصل الواحد، حيث تعتبر هذه اللغات الثلاث لغات متبادلة يسهل فهمها لدى الجميع، أما اللغة الأيسلندية فكانت في الأصل لغة اسكندنافية مشتقة من الدنماركية على وجه الخصوص ولكنها اختلفت عنها بعد ذلك خاصة في طريقة النطق. وتعتبر اللغة الأيسلندية إضافة إلى لغة سكان جزيرة فيرو والتي تتبع سياسيا واداريا الدنمارك، مجموعة لغوية منفصلة تعرف بالمجموعة النوردية الغربية أما اللغة الفنلندية فتختلف كثيرا عن اللغات الاسكندنافية التي تتبع مجموعة (الهندو - أوروبية) بل هي جزء من لغات "فينو - أغريان" والتي تعني عائلة اللغات الفنلندية الهنغارية.

أما الأصول البشرية لسكان النوردين أو إقليم شمال أوروبا فتعود إلى هجرات نزحت من شمال أفريقيا والجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا وسكنت بلاد الغال أو فرنسا، ومن ثم عاودت هجرتها إلى شمال أوروبا وهم أسلاف السلالة المعروفة بالنوردية التي سكنت شبه جزيرة أسكندنافيا وما جاورها، ويعزى تغير اللون الداكن والشعر الأسود إلى اللون الأبيض والشعر الأشقر والذي تتميز به شعوب المنطقة إلى تغييرات بيولوجية حدثت على

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا ◆

مرور السنين والقرون للعناصر المهاجرة، وكان يطلق على النوردين أو سكان شمال أوروبا القدماء اسم "الرعاة البرابرة" إذ كانوا يقومون بغزوات على الجزء الجنوبي من أوروبا إبان الحكم الروماني بل إن "صاحب القاضي" الكاتب الاندلسي وقاضي طليطلة وصف سكان شمال أوروبا أو النوردين: "أنه نتيجة لبرودة الهواء وطول الليل تبذت أفهامهم وأذهانهم وطالت شعورهم، وفسدت أخلاقهم" وكانوا يوصفون بالمتوحشين الوثنيين حتى إنتهاء فترة حكم العرب للأندلس بل كانت تقوم ضدهم غارات من الجنوب هدفها خطف نسائهم للحصول على شعورهن الذهبية الطويلة إذ كانت شيئاً غريباً في ذلك الوقت!!

الوصول إلى المطار...

كثيرا ما كنت أتردد على مدينة هلسنكي عاصمة فنلندا أثناء إقامتي الطويلة نسبيا في السويد، ومن أمتع وسائل السفر - في رأيي - هي سفن الركاب أو العبارات الفخمة التي تعمل ما بين مدينتي هلسنكي وتوركو في فنلندا ومدينة استوكهولم عاصمة السويد، إنها من أفخم سفن الركاب في العالم، بل إنها فنادق فخمة عائمة متنقلة تحتوي على العديد من المطاعم والمقاهي والحانات ووسائل التسلية والترفيه ما لاحتويه أفخم الفنادق في كثير من بلدان العالم.

أما الوصول إلى المدينة من بلدان أوروبا الأخرى والدول العربية فتكاد تكون الطائرات هي الوسيلة الوحيدة السهلة والسريعة ويعتبر مطار هلسنكي الدولي من المطارات الحديثة الأنيقة ولا غرو في ذلك إذا عرفنا أن فنلندا - رغم قصر الموسم السياحي - واحدة من أرقى الدول السياحية وأكثرها تنظيماً ولقد تفوقت في هذا المضمار على جارتها الأكثر منها تطوراً في كثير من المجالات، السويد والنرويج.

هذه هي الزيارة الثانية لي لفنلندا عبر مطارها الدولي إذ أن كل زيارتي السابقة كانت بواسطة العبارات البحرية كما أسلفت، رافقني في هذه الزيارة زميلي السيد "فهد المسلم" البحار السابق قدمنا جوازي سفرنا فور وصولنا إلى مسئول الجوازات الذي تفحصها جيدا متأكدا من صحة تأشيرة الدخول "الفيزا" ثم ختم الجوازين وأعادهما إلينا مع كلمة ترحيب، والحصول على التأشيرة شرط أساسي لدخول فنلندا خاصة لمواطني الدول العربية ولا بد من الحصول عليها من سفارات فنلندا في دول المواطنين الراغبين في زيارة فنلندا، أما محاولة الحصول على التأشيرة من سفارة فنلندا في دولة أخرى فقد لا يحالفها النجاح أو أنها تتطلب وقتا طويلا.

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا ◆

لم يستغرق التدقيق في التأشيرة وقتا طويلا، دخلنا بعد ذلك إلى صالة الحقائب دقائق معدودة حتى وصلت حقائبنا، حملناها بواسطة عربة نقل الحقائب المنتشرة في أرجاء المطار إلى مسئول الجمارك الذي فتحها وأخذ يتفحصها ويقلب محتوياتها بكل دقة وهو أمر لم يكن مألوفا خلال السنوات الماضية وهي المرة الأولى التي تحدث معي، ربما لانتشار ظاهرة الإرهاب وتهريب المخدرات أو محاولة التسلل للاقامة خاصة من مواطني الدول الشيوعية السابقة وبعد أن فرغ مسئول الجمارك من التفتيش أعاد ترتيب محتويات حقائبنا بكل دقة ثم أغلقها وقال: أشكركم وأتمنى لكم إقامة سعيدة في فنلندا وهذا في الواقع سلوك يتميز به موظفو المطارات في سائر دول الشمال، فلا يعني أن يمارس المسئول مهمته ليكون بديئا أو وقحا، أو باحثا عن أي شيء ثمين لكي يصادره لنفسه كما هو الحال في معظم الدول النامية وأوروبا الشرقية!

والحقيقة أن الإجراءات لم تأخذ وقتا طويلا، إذ لم تمض نصف ساعة حتى كنا خارج الصالة الجمركية، وأخذت أبحث مع رفيق الرحلة عن مصرف لتغيير العملة فكان هناك عدد منها واتجهت إلى واحد منها حيث بادريني إحدى حسنات فنلندا بابتسامة وقالت هل من خدمة أوديتها لك؟ فقلت: فقط أريد أن أعير عملة، وكان حديثا سريعا عن سعر العملة الفنلندية وتسمى "ماركا" والماركا تساوي ثلث دولار أو أقل تقريبا، ولقد أعجبنى شكل وألوان النقد الفنلندي وفئات الماركة المختلفة حيث أنها تتميز بألوان زاهية ومبهجة ولقد لفت إنتباهنا بعد ذلك وجود عدة مصاريف آلية أي "ماكينات" لإستبدال العملة أوتوماتيكيا وذلك تسهيلا للمسافرين كما لفت إنتباهنا أيضا لوحة كبيرة عليها أسماء معظم الفنادق في هلسنكي وعدد الغرف والأسرة فيها وأسعارها وهي مضاءة بعدة ألوان توضح ما إذا كانت هناك غرف شاغرة أم مشغولة أي أنه كان هناك مجال واسع

شمس منتصف الليل ◆—————◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

وخيارات عدة لإختيار فندق مناسب تغني عن الإستفسار والبحث والتنقيب في الكتيبات السياحية الإرشادية المنتشرة في أرجاء المطار، وبعد أن وقع إختيارنا على أحد الفنادق وسط المدينة هاتفنا الإستقبال حجزغرفتين فيه والفنادق في هلسنكي عالية بصفة عامة خاصة في أشهر الصيف وهي موسم السياحة في فنلندا، وتتراوح أسعار الغرف ما بين ٦٠ – ٤٠٠ دولار في الليلة الواحدة، هذا مع عدم توار مظاهر الرفاهية المعتادة في فنادق الدرجة الأولى في الدول العربية كخدمة الغرف على مدار الساعة مثلا وغيرها من الخدمات، إلا أن أنسب الوسائل للحصول على فندق مناسب وبسعر معقول، هو الذهاب إلى مكتب حجز الفنادق في محطة القطارات وسط المدينة، أو البحث عن بيوت الشباب وما في مستواها من أماكن إقامة، مع أنها عادة ما تكون مكتظة بالنزلاء خاصة من شباب دول أوروبا.

معلومات عامة عن فنلندا...

فنلندا هو الاسم العالمي المعروف عن البلد بيد أنها تسمى عند أهلها وبلغتهم باسم (سومي) كان الشعراء قديما يطلقون على سومي أو فنلندا لقب "البلد ذو الألف بحيرة" وذلك تعبيراً عن العدد الكبير من البحيرات التي تحتوي عليها، ولكن كم هو متواضع هذا الرقم إلى جانب الرقم الحقيقي لعدد البحيرات التي بلغ آخر إحصاء لها: ١٨٧٨٨٨ بحيرة!!! لذا فإن السؤال المنطقي هو ما هي مساحة اليابسة في فنلندا؟! والجواب : تبلغ مساحة "سومي" أو فنلندا الإجمالية حوالي ٣٣٨ ألف كم^٢. أما أكبر البحيرات فهي بحيرة "ساينا" وتقع في الجزء الجنوبي الشرقي من البلاد وتبلغ مساحتها حوالي ٤٤٠٠ كم^٢. ويبلغ عدد السكان حوالي خمسة ملايين نسمة وهذا يعني أن بحيرة لكل ٢٧ شخص!!! بينما تبلغ الكثافة السكانية حوالي ١٥ للكيلو متر المربع. ويبلغ أقصى طول لفنلندا حوالي ١١٦٠ كم، وأقصى عرض حوالي ٥٤٠ كم كما يبلغ مجموع أطوال سواحلها حوالي ١١٠٠ كم. أما حدودها مع جمهورية روسيا الاتحادية فتبلغ حوالي ١٢٦٩ كم.

وينحدر الفنلنديون من المهاجرين الذين نزحوا إلى المنطقة بعد العصر الجليدي، وهم مزيج من عدة أجناس مختلطة كسائر الشعوب الأوروبية، أما العرقان الرئيسيان للشعب الفنلندي فيعود أحدهما إلى شرقي البلطيق، بينما العرق الآخر من سلالة النورديين وتغطي الغابات ما مساحته ٧٠٪ تقريبا من مساحة البلاد الكلية التي تنتج كميات ضخمة من الأخشاب التي يصنع منها الورق والأثاث وتشكل الصناعة ٥٠٪ من الدخل القومي تقريبا وأشهرها صناعة الأثاث والمفروشات والمنازل الخشبية الجاهزة، أما

شمس منتصف الليل ♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

المنتجات المعدنية فتمثل ٣٠٪ تقريبا من قطاع الصناعة، ويبلغ عدد الجزر حوالي ١٧٩٥٨٤ جزيرة!!

إنطلقنا في سيارة الأجرة إلى الفندق المقصود من المطار الذي يقع خارج المدينة على مسافة ٢٠ كم شمالا ويطلق عليه اسم "مطار هلسنكي فانتا الدولي" وكان ذلك اليوم مشمسا رائعا من أيام الصيف النادرة في فنلندا كما يقول السائق. ويطلق أهل هلسنكي على مدينتهم اسم عروس البلطيق أو إبنة البلطيق وتسمى أيضا المدينة البيضاء. أسسها الملك "غوستافوس فاسا" في سنة ١٥٥٠ ميلادية وأصبحت عاصمة لفنلندا في سنة ١٨١٢ ميلادية، أما الآن فتعتبر مدينة حديثة حيث يقطنها ما يقارب نصف مليون نسمة شوارعها نظيفة جدا، تصطف على جانبيها أشجار منسقة وتضم مساحات خضراء غرست فيها أنواع مختلفة من الزهور..

إقتربت السيارة من وسط المدينة حيث بدت لنا المباني ذات الطراز الإمبراطوري القديم كما تراءت لنا من بعيد المحلات التجارية والشوارع الفسيحة المزدهمة بالمارة وتقاطعات الإشارات الضوئية، حيث يقف الناس على جانبي الطريق إنتظارا للضوء الأخضر، إذ أن إحترام إشارات المرور سواء للسائقين أو المشاة يكاد يكون مسلما مقدسا لا يخالفه أحد وتشتهر به دول شمال وغرب أوروبا، وإن كانت قواعد المرور بصفة عامة أكثر صرامة وإحتراما في دول شمال أوروبا... أخيرا توقف بنا سائق سيارة الأجرة عند مبنى يبدو من الخارج قديما وربما يعود إلى القرن الماضي سواء في تصميمه الخارجي أو واجهته نقدنا السائق أجرته كما هي في عداد الأجرة وليس من عادة سائقي سيارات الأجرة في دول شمال أوروبا أخذ زيادة على التعريف التي يسجلها العداد كما هو الحال في سائر دول العالم الأخرى... ودعنا السائق بتمنياته لنا بطيب الإقامة ولو كنا في دول نامية لصب علينا جام غضبه وانهاled علينا باللعنات واتهمنا بسوء السلوك وقلة الأدب!!

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا ◆

دلفنا إلى الفندق، فإذا هو من الداخل على أحدث طراز وصل إليه تصميم الفنادق سواء في الأثاث الفنلندي الفاخر أو الديكور الأنيق الذي يعكس رفاهة حس الفنلنديين وذوقهم الرفيع أو في إستخدام الأجهزة الحديثة جدا وطريقة تعامل موظفيه المهذبة، والحق أن شعب فنلندا يتصف بحسن الضيافة والأدب كما أنه شعب ودود جدا ولديه قابلية للتعرف على الأجانب ليس لها نظير في سائر دول شمال أوروبا وعلى العكس من بعض شعوب دول أوروبا الأخرى الذين يكرهون الأجانب سواء كانوا مهاجرين أم سواحا.

رغم أن الفندق يعتبر أحد فنادق الدرجة الأولى في هلسنكي وهو الوحيد الذي وجدنا فيه غرفا شاغرة إلا أننا أضطررنا إلى حمل حقائبنا بأنفسنا بعد أن أنهينا إجراءات التسجيل التي لم تستغرق سوى دقائق معدودة. ونظرا لقلة الأيدي العاملة وإرتفاع أجورها وعدم رغبة الفنلنديون في إستخدام عماله رخيصة من الدول الأخرى خشية مطالبتهم بعد ذلك بالإقامة الدائمة والحصول على الجنسية، فلا يوجد مستخدمون في الفنادق لحمل الحقائب ولا لتقديم خدمات الغرف وغيرها وعلى الساكن أن يتدبر أموره ليس في فنلندا فقط بل في سائر دول شمال أوروبا.

في محطة القطارات...

رغم عناء السفر، إلا أننا شعرنا بالانتعاش بعد حمام بارد، والمياه في دول شمال أوروبا من أنظف المياه في العالم، كما أنها من أحلى المياه التي لم أذوق طعما شبيها لها في أي مكان آخر، وسبب نظافة المياه هناك، الأجواء الباردة التي لا تعيش فيها البكتيريا عادة أما سبب عذوبتها فلم أعرفه حتى الآن، ولعلها لا تشذ عن الأشياء العذبة الجميلة الأخرى هناك!!.

نزلت بعد ذلك ورفيق الرحلة لنتفقد المدينة حيث كان الوقت عصرا والنهار هنا طويل حيث يصل إلى ١٩ ساعة في الصيف، ولعل هذا هو أحد أسباب النشاط الدائم للناس هنا إذ أنه طالما كانت الشمس مشرقة، لا يجد المرء حاجة للذهاب إلى النوم ولو كان الوقت متأخرا أو لم يجعل الله لنا النهار معاشا والليل لباسا؟...

الفندق لا يبعد كثيرا عن وسط المدينة حيث محطة السكة الحديدية الرئيسية للمدينة وموقف الحافلات والمحلات الرئيسية، الشوارع نظيفة كما أسلفنا وسوف تبقى نظيفة ما حافظ عليها روادها فحتى أعقاب السجائر لا وجود لها على الأرصفة، لأن الجميع هنا بحكم وعيهم بالمحافظة على بيئتهم يشكلون "رقيبا ذاتيا" على أنفسهم، وهذا سلوك نفتقده للأسف في الدول العربية والإسلامية، فرغم الجيش الجرار من عمال النظافة في كل المدن العربية إلا أن شوارعها ما تلبث أن تمتلئ بالمهمات بعد تنظيفها بسبب عدم وعي الناس أو عدم إكترائهم أو بلادة في الحس عند بعضهم.

كانت وجهتنا كالعادة عند وصولنا لأي بلد، مكتب الإستعلامات السياحية وبحكم الخبرة المكتسبة من الأسفار المتعددة توجهنا إلى محطة القطارات حيث يوجد مكتب الاستعلامات السياحية، وفعلا وصلنا المحطة التي كانت مكتظة بالمسافرين المغادرين منهم والقادمين أفواجا من الشباب والشابات من هوة السفر يحملون حقائبهم على

ظهورهم وفي أيديهم خرائط وكتيبات يسترشدون بها، وهنا يسمع المرء خليطا من اللغات والوجوه والأشكال، إستوقفت أحدهم أسأله عن مكتب الإستعلامات وكيف حصل على البيانات السياحية التي كان يحملها في يده فأشار إلى المكتب الذي لم يكن بعيدا عنا. وتحتوي محطة القطارات على كل التسهيلات التي يحتاجها السائح، مطاعم ذات مستوى رفيع جدا وأخرى متواضعة وغيرها تقدم الوجبات السريعة، مقاهي المشروبات الخفيفة، بنوك ومصارف مكتب لشركة الطيران الوطنية، محلات الزهور والبقالة، أكشاك الهدايا التذكارية وغيرها من المحلات التي قد يحتاج المسافر للشراء منها، وتعد إلى المحطة قطارات من عدة أقطار أوروبية، فهناك قطار يومي إلى مدينة "سان بطرسبرغ" الروسية التاريخية والتي لا تبعد كثيرا عن هلسنكي، كما أن هناك قطارا آخر من لندن عن طريق كوبنهاغن أو إستوكهولم ويستغرق يومين ونصف اليوم كما أن الكثير من الشباب يستخدمون المحطة كوسيلة للإقامة المؤقتة المجانية حيث تتوفر فيها المرافق الصحية ويستخدمون المقاعد للنوم وعادة ما تبقى محلات المحطة مفتوحة إلى وقت متأخر بعكس المحلات التجارية الأخرى وسط البلد أو في سائر أنحاء البلاد التي تلتزم بوقت محدد للإغلاق، وما يهم القارئ العربي من محطات القطارات سواء في هلسنكي أو أية عاصمة أو مدينة أوروبية أخرى هو توفر بعض الجرائد والمجلات العربية التي لا تتوفر في أي مكان آخر.

كان هناك صف أو بالأحرى صفان أمام مكتب الاستعلامات من المسافرين والسياح ورغم إزدحام الصفيين بالناس إلا أن الحركة كانت سريعة، جاء دوري وسألت الموظفة وكانت تبدو في العشرين من عمرها عن أهم معالم المدينة، فقالت كم يوما ستكون زيارتكما لها؟ قلت يومان، فتناولت مجموعة من الكتيبات السياحية الفاخرة الطباعة والأنيقة ولم تنس خريطة فنلندا وأيضا خريطة مفصلة لمدينة هلسنكي وسألتني عن مكان إقامتي

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا ◆

فأجبتها عن اسم الفندق فرسمت دائرة على الخريطة وقالت أنت تقيم هنا، ورسمت دائرة أخرى على المحطة وقالت: أنت الآن هنا، وعليك أن تأخذ المسارات التالية لتتمكن من تنفيذ برنامجك السياحي حيث أن أهم الأماكن التي سوف أقترح عليك زيارتها لا تبعد كثيرا من هنا.

أعجبنى هذا النظام السهل الميسر لزيارة معالم المدينة، حيث أنني لن أضيع الوقت في السؤال عن شارع فلان ومكان إعلان، كما هو الحال في بعض الدول الأخرى التي تطبل للسياحة ولا تعمل لها! فكل شيء مفصل وموضح على هذه الخريطة بدءا من أسماء الشوارع وإنهاء بوسائل الانتقال المختلفة. واستوضحت منها إن كان بالإمكان حجز فنادق من هنا، فقالت نعم وبأسعار خاصة، ليس هذا فقط بل حتى حجوزات الطيران والبواخر والمسارح وغيرها من الأماكن السياحية.

وبعد أن أخذت ما أريده من بيانات لم أستطع أن أكتف فضولي في السؤال عن ماهية عملها في أشهر الشتاء حيث يتوقف النشاط السياحي تماما، فقالت أنا طالبة وأزاول هذه المهنة في وقت الأجازة الصيفية حتى أستطيع توفير بعض النقود التي تساعدني على تكبد مصاريف الدراسة الجامعية، أو القيام بإجازة قصيرة إلى إحدى دول أوروبا حسب الظروف المادية. إذن هؤلاء القوم لا يستعينون بأجناس أخرى لتسيير أمورهم عندما يوجد لديهم أمر ما، كما أنهم يستغلون أوقات الفراغ بما يعود عليهم بالفائدة، سألتها سؤالا أخيرا؛ إن الشمس قد قاربت على الغروب، فأين نستطيع أن نجد مطعما مناسبنا نتناول فيه عشاءنا وثلثي بنماذج من الفنلنديين المثقفين الذين قد يساعدوننا في التعرف عن كذب على بلادهم وحضارتهم، فأشارت مرة أخرى إلى أكثر من مطعم كل واحد منها له ميزة مختلفة، فاخترنا واحدا وعدنا مرة أخرى إلى الفندق.

جولة على الأقدام..

نحن الآن في شهر يونيو "حزيران" وليل هلسنكي يبدأ بعد الحادية عشرة مساءً وهو وقت متأخر بالنسبة لنا، وعلى الرغم من أن الساعة قد تجاوزت التاسعة مساءً إلا أن الشمس مازالت مشرقة تغمر المدينة بأشعتها الذهبية الواهية خلف المسطحات الخضراء من النباتات والأشجار الممتدة على مرمى البصر والتي تحيط بالعاصمة الفنلندية من كل جانب، نسمات باردة منعشة تهب من نافذة الغرفة في أعلى أدوار الفندق المطل على المروج الخضراء، إستبدلنا ملابسنا الخفيفة بملابس أخرى أثقل لتقينا البرودة التي بدأت تسري مع إضمحلال أشعة الشمس، أخذنا زينتنا وخرجنا نقصد أحد المطاعم الشهيرة بتقديم الوجبات الفنلندية على الرغم من وجود مطاعم أجنبية أخرى، فمثلاً للعلاقات التاريخية بين فنلندا والإتحاد السوفيتي السابق وما تمخض عنه من دول، فإن كثرة المطاعم الروسية أمر مألوف هنا حيث تختص بتقديم الأطباق الروسية الشهيرة خاصة لحم الخيل الطبق الروسي التقليدي، يلي هذه المطاعم الفرنسية والإيطالية كما توجد بعض المطاعم التركية والعربية التي تقدم الوجبات السريعة ومنها شطائر الشاورمة التي يسمونها هنا "كباب" نظراً لتسمية الأتراك لها بهذا الاسم.

الشوارع تبدو أقل إزدحاماً في هذا الوقت ولكن يلاحظ على المارة أنهم في عجلة من أمرهم، منهم من يحمل في كلتا يديه حصى اليوم من التسوق حيث أن اليوم هو الجمعة وغدا تغلق أغلب المحلات أبوابها إلا البعض منها حيث تفتح في الساعة الواحدة ظهراً ويوم السبت هو يوم إجازة كيوم الأحد خاصة للمؤسسات الحكومية، كما أن البعض يحاول اللحاق بالحافلة أو القطار حيث أن عددا كبيرا من العاملين في العاصمة يسكنون

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

خارج المدينة، إما في الضواحي أو القرى المجاورة، وهذا أمر مألوف في سائر دول أوروبا لذا نرى أن العواصم الأوروبية أقل إزدحاماً من عواصم الدول النامية مع مقارنة عدد السكان. المحلات والحوانيت التجارية مغلقة في هذه الساعة، إذ أنها تغلق أبوابها في الساعة السادسة وتمتد حتى الساعة صيفا وهو موعد تلتزم به جميع المحلات ما عدا المطاعم ومحلات بيع الأغذية "سوبر ماركت" والتفرج على البضائع والمعروضات خلف الواجهات الزجاجية النظيفة متعة بحد ذاتها، فهنا في الدول الأسكندنافية طريقة جذابة جدا ذات لمسات فنية رائعة في عرض السلع خلف الواجهات الزجاجية، كل عرض يدوم شهرا واحدا ثم يستبدل بعرض آخر، حتى البنوك تستخدم واجهاتها الزجاجية لعرض نماذج جميلة من فنون عدة قد لا تكون لها علاقة البتة بنشاط البنك، ولكنها عادة درجوا عليها. ويشتهر الفنلنديون بتصميماتهم الغربية في الزجاج والسيرامك والملابس الرياضية والأثاث الغريب الشكل والبسيط التصميم. وقد يكون للطبيعة دور في إلهام الفنانين الفنلنديين بهذه التصاميم، ولعل أول إنجازاتهم ذلك الطراز المعماري الشعبي الروماتيني وقد برز على المستوى العالمي في هذا المضمار المهندس المعماري "الين سارنين" الذي أسس المدرسة الرومانطيقية في فنلندا، ومن أشهر أعماله محطة قطارات هلسنكي، إنتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٢٢ وأحدث ثورة في تصميم وبناء ناطحات السحاب في أمريكا. ويعتبر "الفار آلتو" رائداً لمصممي الزجاج في فنلندا وله تصاميم عديدة لمنشآت هامة في عدد من عواصم العالم. ولقد برع الفنلنديون في السنوات الأخيرة في تصميم الأزياء وأشهرهم في هذا المجال "ماريميكو" و"فوكو" و"بنتيك" و"بالروث".

في هذه المدينة كسائر مدن أوروبا لا مفر من استخدام خريطة الطرق للتعرف على معالمها وهي طريقة سهلة عندما يعتاد المرء عليها، كما أن الشوارع جميعها ذات أسماء

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

والمباني مرقمة فلا مجال للخطأ أو الإلتباس، إننا نقرب من مقصدنا الذي يقع في وسط الحي التجاري بالمدينة ويزداد الإزدحام، كما يجد الناس في سيرهم الذي هو أقرب للهولة منه للمشي.

رغم إهتمامها بنظافة ملابسها، قلما تولي المرأة الفنلندية إهتماما بأناقته أو بترتيب هندامها أو حتى بإستعمال المساحيق كالمراة الشرقية مثلا التي تنفق - ربما - نصف دخلها على أناقته بل إن الفنلندية تستخدم أصابع يدها في تمشيط شعرها المرسل على كتفيها أو تعبت بخصلات منه كلما سرحت بفكرها بعيدا أو تابعت بإهتمام مطالعتها بكتاب تحمله بين يديها، وغالبا ما تتصف بجمال السحنة وإمتشاق القوام والرشاقة، وهذا نابع عن ممارسة الرياضة حيث تتوفر المرافق الرياضية العامة بكثرة، ووجود الخضرة والهواء النقي والمياه الصافية ولهواة الجري أو المشي توجد غابات وحدائق عامة لممارسة هاتين الرياضتين، فهناك مثلا علامات عند مدخل كل غابة أو حديقة عامة ذات ألوان مختلفة وكل لون يدل على المسافة من نقطة البداية حتى النهاية، حيث يدل اللون الأبيض مثلا على المسافات القصيرة التي قد لا تتجاوز الثلاثة كيلو مترات، ومن ثم اللون الأخضر والأصفر والأزرق والأحمر الذي يدل على المسافات الطويلة التي قد تزيد على العشرين كيلو مترا، أما الألعاب الشهيرة هنا فهي مسابقات الجري والقفز والتزلج والتجديف والهوكي وكرة القدم الأمريكية، ولقد حقق الفنلنديون انجازات رائعة في رياضة رمي الرمح والبولينغ وسباق السيارات خاصة سيارات "فورمولا" وألعاب القوى ومن أشهر أبطالهم في هذا المجال "بافونورمي" الذي حصل على تسع ميداليات ذهبية ويعتبر أسطورة في فنلندا وقد توفي عن ٧٦ عاما. حقا إن الطبيعة تلعب دورا حيويا في تشجيع الناس على ممارسة الرياضة، كما أن الهواء النقي يكسب الجسم الصحة والرشاقة خاصة إذا علمنا أن

شمس منتصف الليل ◆—————◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

الميكروبات لا تستطيع العيش والانتقال في الهواء عند درجات الحرارة المتدنية كما هي في هذه الاصقاع النائية.

إن منظر الفنلنديات برشاقتهن يثير في النفس البهجة بعكس "البراميل" البشرية المتدرجة في الشوارع العربية التي تثير في النفس الإشفاق (إن لم يكن أكثر) وهذا نابج بلا شك من إهمال الرياضة بكافة أنواعها وخاصة الفردية منها حيث أن الرياضة عندنا فقط هي كرة القدم، بضع عشرات يمارسونها والسواد الأعظم يصفق إما هاتفًا أو نائمًا!

المقاهي وسيلة للتعارف..

أخيرا وصلنا إلى المطعم المقصود وهو عبارة عن جزء من فندق كبير ومشهور في هلسنكي، وهو واسع جدا من الداخل وعلى شكل دائرة كبيرة تتخللها عدة دوائر أصغر منها صممت بديكور رائع من الخشب ويتوسط الدائرة الكبيرة منصة عليها مجموعة من الآلات الموسيقية وأمام المنصة ساحة واسعة خالية من المقاعد والمناضد، لم يكن المطعم مزدحما حيث أن الوقت مازال مبكرا لتناول العشاء وعادة ما يحضر الفنلنديون متأخرين في مثل هذا اليوم وذلك لحاجتهم إلى الراحة بعد عناء العمل، أقبلت علينا النادلة وحيثنا ثم خيرتنا بالمكان المناسب الذي نرغب الجلوس فيه، إخترنا مكانا جانبيا ثم غابت وعادت مرة أخرى بقائمة الطعام، ورغم أنها كانت ترتدي زي الخدمة المتعارف عليه في المطاعم، إلا أنها كانت في غاية الأناقة والجمال ونظافة الهندام وهو مسلك لا يشذ عنه أحد صغارا أو كبارا كما أسلفنا، عبوس الوجه أو التجهم أو هكذا بها لنا عادة إسكندنافية صميمة وأنا لا أطيق أبدا الوجه العابس أو الذي يتصنع الجدية الصارمة، فيكفي ما نعانيه من الغرور الممجوج في أقطارنا والتبسم في وجوه الآخرين صدقه عوضا عن أنه يفتح آفاقا للتعارف والتآلف، لا بقصد ارتكاب معصية بل بقصد إكتساب معرفة وتجنب مواقف صعبة أو محرجة كان لزاما علينا أن نخرجها من عبوسها لعلها تتبسط وتفصح لنا عن عادات أهلها، لذا ما أن سلمتني قائمة الطعام حتى بادرتها بدعابة ضحكت لها كثيرا وهم قلما يضحكون، والمرأة هي المرأة يطربها كثيرا إطراء حسنها وأناقته وأية أناقة وهي ترتدي زي العمل ولكن صدق شاعرنا شوقي عندما قال "والغواني يغرهن الثناء!" أسأل "أغنيتنا" وكان هذا هو إسمها المدون على قطعة نحاسية صغيرة مثبتة على جانب صدرها الأيمن عن أشهر

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

الأطباق الفنلندية، فتقول هناك الكثير من الأطباق لعل أشهرها هو طبق حيوان الرنة أو لحم الوعول التي تكثُر في المناطق الشمالية من روسيا وفنلندا والنرويج والسويد ويقدم إما على هيئة شرائح مشوية أو مفروم ويشبهه طعمه لحم الضأن، والمطبخ الفنلندي عموما لا يصل في مستوى ذوقه أو قدرته على تقديم وجبات شهية إلى مستوى المطبخ الشرقي بل إن الطعام هناك مشكلة للشرقي...

نظرا لقلّة الزبائن في هذا الوقت فقد وجدت أعيننا فرصة لتحدثنا عن بلدها بعد ما عرفت أننا زائران من الشرق الأوسط وهدفنا هو التعرف على شعوب دول شمال أوروبا وخاصة فنلندا، تقول أنها طالبة تدرس الإقتصاد في جامعة هلسنكي وتعمل هنا في الإجازة الصيفية كسائر الطلبة لتوفير بعض النقود التي تعينها على مصاريف الدراسة وتكاليف المعيشة المرتفعة، ويتحتم على طلبة الجامعات دفع مصاريف الدراسة، وهم عادة ما يحصلون على قروض حكومية ذات فائدة مخفضة يسددونها بعد تخرجهم وحصولهم على عمل.

أخذ المكان يزدحم رويدا رويدا بالرواد، وبدأت الفرقة الموسيقية تعزف ألحانها، وقد إكتشفنا أن المكان لم يكن مجرد مطعم، بل إن الساحة الواسعة أمام الآلات الموسيقية كانت للرقص، والمطاعم التي على هذا المستوى تكون لديها فرقتها الموسيقية، وكان رواد المطعم يتناوبون الرقص بعد كل وجبة يتناولونها، ويبدو أن مداعباتنا لأعيننا قد إستهوتها كثيرا بدليل تردها على مائدتنا وتبادل الحديث معنا، وقد أشارت إلى أنها لم تضحك منذ فترة طويلة، حيث أن مداعبات كهذه خاصة أثناء العمل ليست أمرا مألوفا عندهم كما أنها فن لا يجيده أهل الشمال، والواقع أنه يكفي أن يكون المرء غريبا هنا حتى يكون موضع إهتمام الآخرين، فالفنلنديون بصفة خاصة خلاف جيرانهم يتصفون بالود تجاه

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

الأجانب ويرحبون كثيرا بالجلوس معهم والتعرف عليهم، كما أن غالبيتهم يتكلمون اللغة الإنجليزية حيث تدرس في المدارس إضافة إلى لغتهم الفنلندية واللغة السويدية التي تعتبر لغة رسمية.

لقد تعرفنا على المزيد من عادات الفنلنديين من خلال أحاديثنا المتقطعة مع أغنيثا وعلاوة على أنها طالبة مثقفة، لديها شغف بالتعرف على عادات شعوب الدول الأخرى كما أنها تهوى جمع العملات الوطنية للدول الأخرى وهي هواية أمارسها أنا منذ ما يزيد على العشرين عاما، ولدي من العملات الأجنبية حصيلة ضخمة جمعتها من أسفاري المتعددة، والسؤال عن العملة الوطنية كثيرا ما يتكرر عند إنتقالي من بلد إلى آخر: لذا فإنني أحرص على حمل عدد وافر من القطع المعدنية لأتركها ذكرى لمن يطلبها مثل أغنيثا.

والإتصال المباشر بالشعوب الأخرى أفضل كثيرا من مجرد القراءة عنهم، حيث أن الكتب عادة ما تحمل وجهة نظر مؤلفيها وتجربتهم الشخصية ومحاولة التعرف على عادات الشعوب متعة لا تدانيها متعة لذوي الوعي السليم والعقول الراجحة، ولكن كيف التعرف عليهم دون الإحتلاط بهم ومعاشرتهم والإستفادة من تجاربهم وتفوقهم في أي مجال؟ هذا في الحقيقة ما حدا بنا لأن نغد إلى هذا المكان وليس مجرد تناول الطعام فقط... إكتظ المكان بالناس، وبدا أن الواقفين أكثر من الجالسين وتعالى الضحكات من كل جانب وصوب، وتاهت أغنيثا وسط الزحام وطلبات الزبائن... وأستأذنت فتانان كانتا واقفتين منذ فترة بالقرب من منضدتنا بالجلوس على المقعدين الشاغرين ومشاركتنا مائدتنا... وبادرتنا إحداها بالحديث....

حوار حول الناس والحياة

* هل يزعجكما الحديث معكما؟

- أبدا بل إننا نرحب بذلك..

* شكرا لترحيبكما ويسعدنا أن نعرف من أين أنتم؟

- إننا من بلاد بعيدة تسمى قطر، إحدى الدول العربية هل سمعتم بها؟

* كلا فهذه أول مرة نلتقي فيها بعرب ولكن ما سبب زيارتكم لفنلندا؟

- للتعرف على سقف العالم أي شعوب ودول شمال أوروبا في الطريق إلى (شمس

منتصف الليل) هذا باختصار شديد سبب وجودنا هنا.

* أوه عظيم، لقد جئتما من مكان بعيد لزيارة بلادنا، ورغم أننا ولدنا هنا ونعيش هنا

إلا أننا لم نفكر ولو مرة واحدة بزيارة شمال فنلندا وهي بلدنا لنشاهد هذه الظاهرة العجيبة

إذن فنحن نجلس مع إثنين من الرحالة؟!!

- ليس تماما، ولكننا نبحث عن المتعة العقلية في التعرف على معالم الكرة الأرضية

وغرائبها، ولقد قرأنا الكثير عن ظاهرة شمس منتصف الليل، كما قرأنا الكثير عن جمال

الطبيعة في فنلندا، وإننا على يقين بأننا سوف نشاهد في فنلندا ما هو أعظم مما قرأنا عنه

إلا أنه ينقصنا الشيء الكثير حتى نقف على الحقيقة...

* مثل ماذا؟

- إن الطبيعة سوف نشاهدها في تجوالنا، بيد أن العلاقات الاجتماعية والهموم

اليومية للفنلنديين لن نستطيع التعرف عليها إلا من خلال اللقاءات المباشرة، فأبسط

علاقة مباشرة بين الناس مثلا هو الزواج فكيف يتم عندكم؟

شمس منتصف الليل ♦ ————— ♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

* في الواقع أن علاقتنا الاجتماعية كالصداقة محدودة جدا ربما هذا نابع من إستقلاليتنا أو إنطوائنا على أنفسنا ولعل برودة الطقس هنا تلعب دورا كبيرا في توطيد هذا السلوك، وهذه الاستقلالية تبدأ عندما يصل الفتى والفتاة إلى سن الثامنة عشرة والتي يقرران عندها الانفصال عن الأيوين والإقامة كل بمفرده.

- إن هذا يقودني إلى سؤال آخر وهو: كيف يتم إعداد الطفل وتربيته عندكم؟

* يبدأ تعويد الطفل منذ صغره على إحترام النظام والأدب واللباقة، وتتم تربيته بهدوء وصبر دون زجر أو توبيخ إلا فيما ندر، والضرب هنا ممنوع بحكم القانون، فأى طفل يشتكي أبويه إذا عامله بقسوة يتم تنبيههما من قبل الدولة، وإلا فيحق للدولة حضانتها بدلا منهما، كما لا يتم زجر الطفل أمام الآخرين فإن هذا يجرح كرامته، كما أنه قد يولد عقدة نقص لديه، وعندما يصل الطفل إلى سن الثالثة يلتحق بالروضة وفيها يتم تعويده على جو المدرسة التي سوف يلتحق بها بعد ذلك، كما تتم في الروضة إزالة الفوارق الاجتماعية والطبقية وتنمية حب التعاون والنظام والنظافة والسلوك الحسن، وهي ليست مرحلة دراسية بالمعنى المفهوم، بل تشمل نشاطات وهوايات وألعابا مختلفة كما يدرّب على تعلم الأرقام والمبادئ الأولى للقراءة والكتابة بواسطة أشكال ورسوم مختلفة لتشويقه. وتشرف الدولة على هذه المرحلة، كما أن لها رسوما معينة يتكفل بها أولياء الأمور، وعندما يصل الطفل إلى سن السابعة ينتقل إلى مرحلة الدراسة التأهيلية وهي تنقسم إلى قسمين أو مرحلتين، المرحلة الأولى: ومدتها ست سنوات، والمرحلة الثانية: ومدتها ثلاث سنوات. وهاتان المرحلتان إلزاميتان، ويتعلم الطالب في المرحلة الثانية بعض الحرف إلا أنها لا تكفي للتخصص، وعليه فلا بد من الإلتحاق بالمرحلة التالية وهي المرحلة الثانوية ومدتها

شمس منتصف الليل ♦ ————— ♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

ثلاث سنوات ينهي فيها الطالب تخصصه المهني أو يتأهل خلالها للمرحلة الجامعية بعد أن يخضع لإمتحان قبول.

وتشرف البلدية في كل منطقة على هذه المرحلة، وقليل أولئك الذين يواصلون تحصيلهم الجامعي نظرا لما يتطلبه ذلك من جهد مضاعف وتفرغ ومصاريف إضافية، أما المرحلة الجامعية فلا تقل عن أربع سنوات. وأول جامعة أنشئت في فنلندا كانت في سنة ١٦٤٠ في مدينة "توركو" وتعتبر المدينة الثانية بعد هلسنكي وكانت العاصمة سابقا، ولكن شب فيها حريق كبير سنة ١٨٢٧ إنتقلت على أثره العاصمة بما فيها الجامعة إلى هلسنكي، ويوجد في الوقت الحاضر واحد وعشرون جامعة ومعهدا عاليا...

- لقد كان هذا سردا وافيا لنظام التعليم في فنلندا أعطانا فكرة واضحة، ويبدو أن لك علاقة ما بالتعليم...

* نعم فأنا مربية أطفال بالروضة، وهي إحدى المهن التخصصية التي شرحتها لك في المرحلة الثانوية وتؤهل صاحبها أو صاحبها للعمل كسائر المهن مثل الطبخ والسكرتارية وحلاقة الشعر وتنسيق الزهور وغيرها كثير التي تحتاج إلى دراسة وتدريب. أما قضية الزواج التي سألتني عنها فلم تعد ذات إهتمام كما كانت من قبل، فلم تعد أمرا شائنا مسألة العيش معا تحت سقف واحد وإنجاب الأطفال دون زواج، بل أصبحت مسألة عادية جدا ولكن في حالة كهذه عندما يتم الانفصال، ليس للرجل أية حقوق على الأبناء، فبحكم القانون يتبعون الأم ويعيشون معها وتتكفل بهم أو بنفقتهم الحكومة.

- حتى الخطيئة نظمتوها ووضعتم لها قواعد وقوانين؟!؟

* إنها لم تعد كذلك في عرف الناس، إن هذا أمر شائع ليس في فنلندا فقط بل في سائر دول الشمال خاصة في السويد ولقد وضعت الدولة له قواعد تنظمه حتى أصبح مألوفا ولا غرابة فيه، وكان للعوامل الإقتصادية دور كبير في ترسيخه....

شمس منتصف الليل ♦ ————— ♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

- ولكن ألا يشكل ذلك في إعتقادك خطيئةً تحرمه حتى الديانة التي تدينون بها؟

* حسنا، إنه في العقود الأخيرة لم يعد للدين أهمية تذكر، فلا أحد يذهب إلى الكنيسة

وقليلون أولئك الذين يؤمنون بها بل إن غالبية الناس هنا ملحدون....

- وهل أنت كذلك؟

* رغم أنني لا أؤمن بالكنيسة ولم أذهب إليها أبدا، إلا أنني في قرارة نفسي أؤمن بأن

هناك إله، قد يكون هو إلهكم أيها المسلمون أو هو بودا أو أي إله يؤمن به أي شعب من

شعوب العالم...

- بما أن كنيستكم قد فشلت في إبقائكم على الولاء لها والإيمان برسالتها، فإنها قد

توجهت وجهة أخرى وهي التبشير بالمشيحية في أفريقيا وآسيا في هجمة شرسة ما رأيك

في ذلك؟

* أن الكنيسة هنا غنية جدا، فقد ورثت ثروات طائلة وعقارات وأصبح دورها الآن

مجرد دور إداري، أي أنها تقوم بتسجيل المواليد في سجلاتها على حسب المنطقة وتقديم

المساعدات للمحتاجين، أما الكنائس فهي خاوية على عروشها ولا يرتادها أحد، لذا فقد

وجهت نشاطها إلى البلاد النامية لتعويض النقص في أتباعها.

- وما هو المذهب الكنسي السائد هنا؟

* بداية فإن حرية العقيدة والعبادة حق مكفول للجميع منذ سنة ١٩٢٣ ويحق لأي

مواطن أن يكون ملحدا أو يعتنق أي مذهب أو ملة، أما المذهب السائد هنا فهو المذهب

البروتستنتي الذي يتبع الكنيسة الإنجيلية اللوثرية كما هو الحال في سائر دول

أسكندنافيا...

شمس منتصف الليل ♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

كنت أستمع إلى محدثتي وأنا أراقب المكان حولي، فهناك الكثير من النظرات التي توجه إلينا والهمسات التي خيل إلى أنها تدور حولنا وأسألها...

- ما رأيك في الرجل الفنلندي؟

* الرجل الفنلندي لم يعد كما كان سابقا، فقد أصبح ناعما أكثر من اللازم، مملا

ليست لديه روح الدعابة والمرح، لا يعرف كيف يستقطب قلب المرأة...

- لذا فإن المرأة الفنلندية تبحث عن الرجل الغريب كما أخبرني بعض الرجال

الفنلنديين...

* ربما يكون هذا صحيحا على سبيل التجربة والتغيير والمتعة مثلا أو البحث عن

الحنان والدفء العاطفي الذي يفتقده الرجل الفنلندي وكذلك الرجولة الحقة، فالرجل

الأسكندنافي عموما ضعيف متردد يفتقد المبادرة والإقدام، ليس كالرجل الشرقي الذي يهتم

بالمرأة ويغار عليها ويغمرها بالعطف والمودة و...

- إنني أرى أن هذا سببه المرأة وليس الرجل، فالمساواة التي تنادي بها المرأة وطبقتها

فعلا في كل شيء جعلتها ندا للرجل لا متممة له، والحياة لا تستقيم هكذا، فلا بد من طرف

مهمين بعض الشيء في بعض الأمور بالعدل والقسطاس، كما أن المجتمعات الأسكندنافية

قد أولت المرأة إهتماما شديدا...

لم يعد المكان يطاق من كثرة الصخب والضجيج والدخان الكثيف المنبعث من

السجائر المشتعلة واختلاط الحابل بالنايل، فكان لزاما علينا المغادرة واستأذنا جليستينا

اللتين أبعديتا استعدادهما لتقديم أية خدمة نحتاجها، كما قدمتا لنا الدعوة لزيارة بعض

الأماكن السياحية نهار اليوم التالي، ولكن إعتذرنا لارتباطنا ببرنامج متفق عليه حول

زيارة معالم المدينة.

أهم معالم المدينة...

خرجنا من المكان فإذا الشوارع تضح بالغادين والرائحين، فتيات في عمر الزهور تمتلئ بهن الشوارع في هذا الوقت المتأخر من الليل أو المبكر من النهار دون رقيب أو حسيب من أب أو أم، تائهات قد غلبهن السكر والنعاس يبحثن عن سيجارة يشعلنها أو دعوة، تلك الوجوه التي حسبناها باسمه سعيدة مطمئنة، تخفي نفوسا كئيبة وأرواحا تعيسة تفتقد الإيمان والاستقرار الروحي، ورغم العناية الإجتماعية والصحية التي توفرها الدولة لهم، إلا أن معدلات الإنتحار في أعلى مستوياتها لديهم وخاصة الشباب منهم، الإباحية المطلقة كانت نتيجتها الرعب الذي يجتاح أوروبا من خطر الأمراض الفتاكة وخاصة مرض الإيدز فالرجل في دول أسكندنافيا لا يأمن زوجته والمرأة لا تأمن زوجها، التفكك الأسري والإجتماعي ورثهم الإكتئاب والوحدة القاتلة، وإعلانات التحذير من مرض الإيدز منتشرة في كل مكان، بالخط العريض جدا على القطارات كتبوا: إحدروا الإيدز، إعلانات ملصقة في محطة القطارات والشوارع تذكر الناس بالنتيجة المرتقبة للإباحية التي كانوا يتغنون بها زمنا طويلا، إن ليل هلسنكي ليل كئيب - أو هكذا بدا لي - رغم مظاهر المرح المصطنعة ليل أحلى منه نهارها وأجمل...

بدأنا جولتنا السياحية في زيارة لأهم معالم مدينة هلسنكي مستخدمين في ذلك خريطة المدينة بدءا بالأهم ثم المهم، كما إقترحت علينا موظفة الإستعلامات السياحية في محطة قطارات هلسنكي، وهذه المعالم لا تبعد كثيرا عن مكان إقامتنا.

وتعتبر كاتدرائية هلسنكي واحدة من أهم معالم المدينة العمرانية والسياحية، تقع في قلب المدينة وهي ليست ببعيد عن مقر مجلس وزراء فنلندا، بنيت هذه الكاتدرائية في بداية

القرن التاسع عشر وهي أول ما يشاهد من معالم هلسنكي للقادم إليها عن طريق البحر بواسطة سفن الركاب الفاخرة التي تعمل بين مدينة استوكهولم عاصمة السويد ومنتجع (ترافا مندة) شمال ألمانيا، ولقد بنيت الكاتدرائية على ربوة عالية ويتم الصعود إليها للمدخل الرئيسي بواسطة درجات أسمنتية تبلغ ارتفاعها عن الأرض قرابة ثلاث طوابق وتستخدم هذه الدرجات كمدرجات لساحة واسعة تقع أمام الكاتدرائية لمشاهدة العروض المختلفة، وتحتوي هذه الكاتدرائية على صالة دائرية الشكل واسعة جدا بها مجموعة مقاعد ومنصة للمواعظ، كما تحتوي على زخارف وتمائيل.

أما جامعة هلسنكي أحد أشهر معالم المدينة، فتقع على مقربة من الكاتدرائية، وعلى بضع خطوات يقع "سينات سكوير" الذي يعتبر مركز المدينة أو قلب العاصمة، وعلى مقربة منه يوجد مرفأ السفن واليخوت حيث تنتشر على أرصفة هذا المرفأ الأكشاك الخشبية حيث تباع الهدايا التذكارية والمنتجات الزراعية وفاكهة الموسم والسّمك المدخن أشهر المأكولات الأسكندنافية ولحوم حيوان الرنة المجففة.

ومن المعالم السياحية أيضا الحافلات البحرية أو زوارق النزهة البحرية، حيث تطوف بركابها لفترات مختلفة حسب البرنامج لمشاهدة معالم المدينة من خلال القنوات البحرية والجزر المنتشرة بكثرة، يصاحبها شرح مسجل بعدة لغات أوروبية مختلفة كالإنجليزية والسويدية والألمانية والفرنسية، وتتوافر على هذه الحافلات خدمات المأكولات والمشروبات الخفيفة، كما أن لها سطحا علويا مكشوفاً لمشاهدة الطبيعة دون عوائق، إلا أن البرودة الشديدة قد تجبر الركاب على النزول إلى الصالة السفلى المغلقة، وتنتشر حول العاصمة جزر صغيرة شاهدنا مثلاً جزيرة صغيرة أقيم عليها منزل واحد فقط وهي بمثابة ملك خاص لصاحب المنزل يستخدم قارباً صغيراً في الانتقال من وإلى المدينة، وقد جرت العادة عندهم

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

أن يملك أفراد من الشعب هذه الجزر وما عليها من منازل كأنها قطعة أرض، أو كأي منزل مقام على قطعة أرض، كما توجد أيضا بحيرات يملكها أفراد من عامة الشعب ولم يعد هذا أمرا ميسرا في الوقت الحاضر ربما لأنه لم يعد هناك المزيد من الجزر والبحيرات للتملك. ما إن إنتهينا من جولتنا البحرية الممتعة حتى أخذنا نتجول في ساحة السوق لمشاهدة المحلات والمتاجر، ونحن في تجوالنا هذا سمعنا جلبة وضجيجا مصدره إحدى السيارات التي كانت تسير الهويئا خلفنا، فالتفتنا فإذا بسيارة مكشوفة يقودها شاب بسرعة بطيئة وقد ربط خلف السيارة حبلًا في طرفه الآخر ربط حذاء قديم وعلب فارغة كانت هي مصدر الضوضاء وأشياء أخرى مختلفة، وعن لي تنبيه السائق لما هو مربوط خلف سيارته وقد لوحت له فعلا بيدي لكي ينتبه ولكنه إبتسم وواصل سيره ولقد لفت إنتباه أحد المارة بفعلي هذا، حيث وقف وحياني ثم قال: هل أنت سائح؟ قلت نعم، وهذا الرجل يجر خلف سيارته أشياء غريبة لا أعرف كيف غفل عنها وهي تحدث كل هذه الجلبة... ضحك الرجل وقال: إنها عادة هنا أن يفعل من هو مقبل على الزواج أشياء غريبة كهذه التي رأيتهما الآن وهي متعمدة وهذا يعني أن الرجل سوف يودع حياة العزوبية وهذا اليوم هو آخر أيام العزوبية المباركة!؟

ولقد شاهدنا بعد ذلك سواء في فنلندا أو باقي دول إسكندنافيا تصرفات شبابية أكثر غرابة، إذ شاهدنا مجموعة من الشباب بملابس غريبة ومضحكة، كان عددهم يقارب العشرة يتجولون في الشوارع ويرتادون المقاهي وهم بملابسهم الغريبة تلك، كما شاهدنا مجموعة أخرى من الشابات بملابس غريبة أيضا، وأكثرهن غرابة في ملابسها وتصرفاتها كانت هي الزوجة المقبلة، أو تلك العروس التي تقضي آخريوم لها من العزوبية مع صديقاتها بعيدا عن زوجها الذي يقضي هو الآخر آخريوم له مع أصدقائه، وقد لطخت

شمس منتصف الليل ◆—————◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

العروس وجهها بألوان مختلفة وارتدت ملابس مصنوعة من جلد النمر المقلدة وحملت في يدها عصا ووضعت على رأسها تاجا من الريش، كما حملت على ظهرها لافتة كتبت عليها عبارات باللغة المحلية لم نعرف ماذا تعني ولكن وجدنا من يقرأها يضحك أو يبتسم، كما شاهدنا أيضا بعد ذلك في النروج مجموعة أخرى من الفتيات وهن يتجولن في الشوارع بملابس النوم الرجالية (البيجامات) وقد حملن معهن فوطا وفرش أسنان وغير ذلك، وهذا يعني أن إحداهن سوف تتزوج قريبا.

وعندما إستفسرنا عن الحكمة من هذه التصرفات للمقبلين على الزواج وجدنا أن من يأتي مثل هذه التصرفات عادة الشباب، كما أن القصد منها هو قضاء اليوم الأخير من العزوبية، الفتى مع أصدقائه والفتاة مع صديقاتها دون أن يلتقي أحدهما بالآخر، أما الملابس الغريبة فتعني أن هذا اليوم آخريوم في حياتهما يقضيانه في المرح واللهو.

العروض الفلكورية في كرنفال هلسنكي...

أثناء إقترابنا من محطة القطارات بعد جولة صباحية ممتعة شاهدنا أعدادا كبيرة من الطلبة والطالبات في مختلف المراحل الدراسية وهم يرتدون ما يشبه الزي الموحد وعلى مجموعات، وكل مجموعة لها زيتها الخاص ذو الألوان المختلفة عن الأزياء الأخرى ويحملون الأعلام الملونة والريش والزهور، وبعضهم قد طلى وجهه بالأصباغ الملونة، منها أصباغ تمثل العلم الفنلندي الأزرق والأبيض، وكانوا جميعهم يتوجهون إلى وجهة معينة، وقد توقفت حركة السير، كما تم توجيه السيارات إلى مسارات أخرى ففتبعنا هذا الركب إلى أن وصلنا إلى أحد الشوارع العريضة، وكان على جانب الشارع مبنى ضخم وأمامه مدرجات جلس عليها عدد كبير من الناس، كان من بينهم عدد من الرجال والنساء يبدو على مظهرهم أنهم من علية القوم، كما كانت سيارات الإسعاف والشرطة وهيئة الإنقاذ وهي مؤسسة قائمة بذاتها، ممثلة في مجموعة من الرجال والنساء يرتدون زيا موحدا أشبه بزي رجال الطيران ذي اللون الأزرق الغامق وعلى أكتافهم إشارات تدل على حرفتهم، كما كانت الطائرات العمودية تعلق فوق المنطقة سألت أحد رجال الإنقاذ عن هذا الحشد الكبير، فقال: اليوم هو يوم "الكرنفال" القومي وهو لا يتكرر إلا كل عشر سنوات مرة واحدة وتشارك فيه جميع الهيئات والمؤسسات التعليمية والفنية والمدارس ورياض الأطفال والفنانين والموسيقيين وغيرهم، وأنه سوف يبدأ بعد ساعة من الآن وهو "كرنفال" رسمي يحضره عدد من الوزراء كما ينقله التلفزيون على الهواء مباشرة وتنقله الإذاعة عبر الأثير.

وقفت على الجانب المقابل للمنصة أنتظر بدء الإحتفال الذي بدأ في موعده بمرور حملة الاعلام وأستطعت أن أميز أعلام عدة دول عربية من بينها، تلي حملة الاعلام عروض

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

فلكلورية ولقطات فنية ورقصات شعبية مختلفة وألعاب بهلوانية، كما مر تلاميذ المدارس من أمام المنصة بملابسهم الزاهية المزركشة وهم يمثلون مناطق مختلفة من فنلندا، ثم الرياضيون الذين يمثلون مختلف الألعاب والإتحادات الرياضة بشعاراتهم ونماذج من ألعابهم، وقد استمر الكرنفال أكثر من ثلاث ساعات.

لقد قضينا وقتاً رائعاً في مشاهدة هذا الكرنفال الذي كان مفاجأة لنا وكان هذا الوقت على حساب جولات أخرى ضمن البرنامج الذي أعدناه، منها مثلاً جزيرة "سوملينا" التي كانت تضم أحد الحصون البحرية والتي بناها الروس أثناء الحروب الماضية بين البلدين وتحتوي في الوقت الحاضر على متحف ومعرض فنون وعدة مقاهي ومطاعم ويمكن الوصول إليها بواسطة السفن السياحية الصغيرة من المرفأ، وتستغرق الرحلة زهاء ربع الساعة وتكلف ما يقارب أربعة دولارات، وأيضاً جزيرة "كوركياساري" التي تحتوي على حديقة حيوان تأسست في القرن الماضي وتضم مجموعة حيوانات قطبية وجبلية وهي مفتوحة طوال العام، وأيضاً جزيرة "سيوراساري" التي تحتوي على غابة وتبعد حوالي ٥ كيلو مترات عن مركز المدينة وقد أقيم في هذه الجزيرة مجموعة مباني ومنازل فنلندية قديمة لتشكل بيئة فنلندية تاريخية رائعة.

ولعشاق الموسيقى والفنون نصيب في فنلندا، فيمكنهم الإستمتاع بدار الأوبرا الوطنية وأكاديمية "سيبليوس" وقصر فنلندا، كما تمارس فرق الموسيقى عزف أنغامها في الأماكن العامة صيفا وتقام لهذا الغرض مهرجانات خاصة تستغرق ثلاثة أسابيع في أغسطس وسبتمبر وتضم فنون السينما والبالية والمسرح والأوبرا ولهواة التسوق وما أكثرهم في دولنا العربية، هناك محلات أنيقة وراقية ورغم أنها أعلى من مثيلاتها في الدول الأوروبية الأخرى، إلا أنها تقدم للسياح بضائع معفاة من الضرائب والتي قد توفر حوالي ١١٪ من

شمس منتصف الليل ♦—————♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

قيمة السلعة، وهذه الخدمة لا تقدم إلا لمن يطلبها، وإجراءاتها سهلة للغاية، كما أنه بالإمكان استخدام بطاقة خاصة تسمى "بطاقة هلسنكي" وهي توفر للسائح مزايا عديدة منها الاستخدام المجاني لوسائل النقل الداخلية، والجولات السياحية بالحافلات، كما أنها توفر خصومات خاصة في المطاعم والمتاحف والمسارح، وتبلغ قيمتها لليوم الواحد حوالي ١٨ دولارا و ٢٥ دولار لليومين، و ٣٠ دولار لثلاثة أيام، وللأطفال نصف القيمة تقريبا ويمكن الحصول عليها من الفنادق ومكاتب السياحة والاستعلامات.

من أهم الهوايات التي توفرها فنلندا لزوارها كما هي لسكانها، ممارسة الملاحة ومتعة قيادة الزوارق بأنواعها المختلفة، فنظرا لوجود المسطحات المائية الشاسعة سواء منها ما كان في البحر أو البحيرات أو الأنهار، فإن هذه الهواية من أكثر الهوايات شعبية في موسم الصيف، وتتوافر خدمات تأجير القوارب بأنواعها سواء الشراعية أو الميكانيكية أو تلك التي تسير بالمجاديف.

وهناك علامات ملاحية لإرشاد القوارب نحو الإتجاهات المختلفة، فمثلا لمن يريد الإنتقال من مدينة إلى مدينة أخرى بواسطة الإبحار في البحيرات، يمكنه الحصول على إرشادات كثيرة من النوادي البحرية والمرافئ الصغيرة، ويمكن الحصول على المزيد من التفاصيل حول هذه الهواية من مكاتب الاستعلامات السياحية...

تتوافر في فنلندا هواية صيد السمك لمن يمارسها وبتنظيم دقيق، فلا بد من الحصول على رخصة لصيد السمك سواء للمواطنين الفنلنديين أو الزائرين بشرط بلوغ سن الثامنة عشرة من العمر، وتبلغ قيمة هذه الرخصة حوالي ٧ دولارات وهي صالحة لمدة عام، ويمكن الحصول عليها من مكتب البريد، إلا أنه ينبغي أيضا الحصول على موافقة صاحب البحيرة إذا كان الصيد في مياه خاصة وتكون الموافقة مقابل مبلغ رمزي في العادة.

شمس منتصف الليل ◆—————◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

والصيد في الشتاء له طريقة غريبة نوعا ما على الأقل بالنسبة لنا، فعندما يتجمد سطح البحيرة أو البحر ويتحول إلى مسطح صلب جدا، إلى درجة أن السيارات تعدو فوقه! يقوم صياد السمك بصنع ثقب في هذا المسطح بواسطة مثقب يدوي كبير إلى أن يصل إلى مستوى الماء تحت السطح المتجمد، فيدلي بسنارته وهو جالس على مقعد خشبي صغير في درجة حرارة دون الصفر!!

ورغم أنني شاهدت مثل هذه الطريقة مرارا وتكرارا إلا أنني لم أفكر إطلاقا في ممارستها يوما ما!

الرياضة في خدمة السياحة..

إن رياضة الدراجات لها شعبية كبيرة هنا كسائر دول أوروبا ليس فقط كرياضة، بل وسيلة انتقال سهلة ومجانية، يمارسها الكبار قبل الصغار للنزهة والعمل، وهناك طرق خاصة للدراجات لا تسلكها السيارات ولا يطرقتها المشاة. أما زوار البلد الذين يفضلون التنقل بواسطة الدراجات وهي وسيلة غير مألوفة في الدول العربية، فقد أقيمت معسكرات خاصة للشباب الذين يسافرون ويتنقلون بها من بلد إلى بلد، وهي عبارة عن معسكرات سياحية تتوفر فيها خدمة المبيت والغسيل والاستحمام وطهي الطعام، وعادة ما تكون خارج المدن ولها علامات خاصة تدل عليها كما أنها مبيّنة في الخرائط والنشرات السياحية، وهي أرخص كثيرا من الفنادق، هذا إضافة إلى بيوت الشباب والبيوت الريفية والمنازل الخاصة التي يؤجرها أصحابها في فترة الصيف عندما يكون الموسم السياحي في ذروته، وتتراوح قيمة تأجير الدراجة الواحدة في اليوم الواحد ما بين ٨ - ١٦ دولارا في اليوم الواحد، أو ما بين ٥٥ - ٨٠ دولارا في الأسبوع.

تتوافر في فنلندا أيضا رياضات أخرى كالطيران الشراعي، حيث يوجد ما يقارب ٨٠ نادى خاص لهذه الرياضة وموسمها ما بين شهري مايو ويوليو حيث ذروة المنافسات والمسابقات، وبالنسبة للزوار فيمكنهم مزاوله هذه الرياضة بشرط حصولهم على الإجازة الخاصة بالطيران الشراعي وسجل الطيران، وإجراء إختيار الزامي، ولهذه الهواية أسعار خاصة تبعا للنوع ومدّة الطيران، كما توفر المساحات الخضراء في فنلندا بيئة مناسبة لممارسة لعبة الغولف، فهناك ما يقارب الـ ٤٩ ناديا في مختلف أنحاء البلاد.

وتشتهر فنلندا كذلك بسباق الخيل، حيث يقام ما يقارب ٧٠٠ سباق في السنة وهناك مدارس خاصة لتعليم ركوب الخيل وبالإمكان تأجير الخيول من خلال النوادي

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

الخاصة أو حقول تربية الخيول، وتتوافر في فنلندا أيضا أنواع أخرى من الأنشطة الرياضية والسياحية مثل الإسكواتش والتنس، وهوايات سياحية أخرى لا نعرف عنها شيئا هنا وهي الجولات الريفية، حيث أن بعض الزوار يرغبون في التعرف على البلدان الأخرى عن طريق التجول في الريف والقرى الصغيرة، وهذا النوع بحاجة إلى وسائل الإقامة يصحبها الزائر معه حيث أنه من الصعوبة توافر فنادق في المناطق الريفية والنائية، إلا أن فنلندا وفرت شيئا كهذا مثل الإقامة المؤقتة وينبغي التأكد من مكتب الاستعلامات عن الوسائل المتوافرة لمثل هذه الهواية قبل البدء فيها حيث أنه توجد محاذير عن مناطق محرمة أو ممنوع الإقتراب منها.

ليست هناك هواية لم تتوافر في فنلندا وسائل ممارستها فكل شيء يمكن تأجيله حتى سيارات الإعاشة تلك التي تحتوي على منزل مصغر سواء كانت سيارة متكاملة أو مقطورة وهي وسيلة سياحية منتشرة في أوروبا، إنها حقا دولة سياحية من الطراز الأول، ورغم أن السويد مثلا تعد أكثر تطورا من فنلندا، إلا أنها لم تصل إلى مستوى فنلندا في صناعة السياحة، هذا ما لمستته في جولتي في سائر دول الشمال، ولقد وفرت فنلندا وسائل السلامة والأمان لجميع الهوايات ولم تتركها هكذا عرضة للصدف، فهناك ارشادات باللغة الفنلندية والانجليزية تشرح للسياح قيادة الزوارق بجميع أنواعها وكذلك الطيران الشراعي وغيرها من الهوايات.

رغم أن فنلندا تعد واحدة من أعلى بلدان العالم، ولا أعرف بلدا آخر أعلى من فنلندا سوى اليابان، إلا أنه بالإمكان قضاء إجازة سعيدة وبتكاليف معقولة إلى حد ما باستخدام بيوت الشباب وأنواع أخرى من الفنادق أقل مستوى مثل "موتيل" إلا أنها نظيفة وعادة ما تكون خارج المدينة أو على أطرافها، ويستخدمها السواح الذين يتنقلون

بسياراتهم الخاصة توفيراً لتكاليف التنقل، كما أن تأجير السيارات يحظى بتسهيلات كثيرة مثل تأجير السيارة في مدينة وتسليمها في مدينة أخرى رغم أنها وسيلة غالية في أوروبا، ويوجد نوع آخر من الخدمة الفندقية يسمى "فنادق الصيف" وتعمل هذه الفنادق فقط من بداية يونيو حتى نهاية أغسطس وهي فترة السياحة الصيفية وهي أرخص من الفنادق العادية، وجميع الفنادق تقدم وجبة الإفطار، كما أنه بالإمكان الحصول على تخفيض خاص بالفنادق إما باستخدام بطاقة هلسنكي التي سبق ذكرها، أو باستخدام دفاتر خاصة تسمى "شيكات فندقية" ويمكن استخدامها في ١٦٠ فندقاً في جميع أنحاء فنلندا وهي شيكات شخصية ويتم استخدامها ما بين أول يونيو حتى نهاية أغسطس من كل عام، وتكلف ما قيمته ٤٣ دولار تقريباً، وتوفر لحاملها قضاء ليلة واحدة في احد فنادق المجموعة الثانية أو ليلة واحدة في فنادق المجموعة الأولى بزيادة قدرها ٢٠ دولار تقريباً في الليلة.

تتوافر في فنلندا أيضاً وسائل العلاج بالمياه المعدنية والعلاج الطبيعي، ويتكلف اليوم الواحد من الإقامة والعلاج ووجبتين ما بين ٨٠ - ١٣٧ دولار في اليوم الواحد أو ما بين ٤٠٠ - ٩٦٠ دولار في الأسبوع، والتكلفة هنا مرتفعة مقارنة مع دول أوروبا الشرقية، إلا أن جمال الطبيعة الفنلندية والوجه البشوش والمعالجة الرقيقة لها ثمنها.

يقيم في مدينة هلسنكي حالياً جالية إسلامية أغلب أفرادها من المهاجرين التتار الذين بدء نزوحهم إلى فنلندا سنة ١٨٣٥، ويسكن معظمهم العاصمة وهم في مستوى إجتماعي واقتصادي مرموق، كما أنهم يملكون متاجر ومحلات شهيرة، وهم متمسكون بدينهم وعقيدتهم، وما زال بعضهم يستعمل الحروف العربية في الكتابة ولهم مقبرتهم الخاصة، كما يوجد جامع في هلسنكي وجوامع أخرى متفرقة في عدد من المدن الأخرى وهي أقرب الجوامع الي القطب الشمالي.

سياحة في مدن فنلندا

يوم الأحد يوم خامل في أوروبا هدوء كامل في الشوارع، كل شيء مغلق، الجميع يقضون عطلة نهاية الأسبوع إما في القرى أو على الشواطئ أو في الأرياف، ومن بقي منهم في المدن يعيد ترتيب منزله ويعتني بحديقته، قررنا الإنتقال من هلسنكي إلى مدينة أخرى ليس طابع المدينة هدفنا، بل الطبيعة وما حوت من ماء وخضرة ووجه حسن، مثلت الجمال الرائع الذي توافر واكتملت أضلاعه في هذا البلد، وزاده رونقا تواضع الجمال وطيب اللقاء به... فتحنا خريطة فنلندا، سألنا موظف الاستعلامات في الفندق عن أجمل مناطق فنلندا لكي نبدأ جولة من آلاف الأميال باستخدام جميع وسائل النقل المختلفة ما عدا المكوك... إحتار الرجل، كان الأجدر أن نسأله عن أسوأ مناطق فنلندا، فان الجواب عندها سيكون سهلا، لا توجد مناطق سيئة في فنلندا... عدد علينا عدة مناطق وقال إختاروا إحداها أو كلها، فاخترنا الذهاب إلى مدينة "سافونلينا" وتقع شمال شرق هلسنكي، في الجزء الجنوبي الشرقي من فنلندا.

أخذنا القطار من هلسنكي ومن ثم أخذنا حافلة حيث أن القطار لا يصل إلى هذه المدينة مباشرة لهذه الرحلة، سعر التذكرة من نقطة القيام إلى نقطة الوصول حوالي ٣٣ دولار، حيث أنها تعتبر رحلة واحدة مهما تعددت وسائل المواصلات وتوقف القطار في مدينة اسمها "تامبره" التي تعتبر ثاني أكبر مدينة في فنلندا، أنشئت سنة ١٧٧٩ وهي مدينة صناعية وزراعية وسياحية أيضا حيث يوجد فيها متحف للفن وحدائق لقضاء الوقت للعائلات حيث تتوافر وسائل الترفيه المختلفة للأطفال، وتتمتع فنلندا كسائر دول الشمال بالأمن والأمان، فبعد مغادرتنا هلسنكي لم نشاهد شريطيا واحدا حتى غادرنا الأراضي

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا ◆

الفنلندية شمالا باتجاه النرويج التي لم نلاحظ فيها هي الأخرى أثرا لرجال الشرطة حتى وصولنا المدن الكبيرة.

تأتي مدينة "توركو" في المرتبة الثالثة من حيث تعداد السكان، إذ يقطنها ما يقارب ١٦٠ ألف نسمة وهي أقدم من فنلندا نفسها كدولة، إذ أن المدينة أنشئت سنة ١٢٢٩، بينما ظهرت فنلندا كدولة حوالي ١٢٨٠، وتقول المراجع إن أول من أشار إلى وجود الشعب الفنلندي هو المؤرخ الروماني "تاكينوس" في كتابه "جرمانيا" ولعله قصد شعب اللاب وهم سكان فنلندا الأقدمون وما زالت سلالتهم تعيش في شمال البلاد ولهم لغتهم الخاصة التي تسمى بلغة اللاب، وهي لغة تابعة لمجموعة اللغات الفنلندية الأوغرية، وخلال القرن الأول بعد الميلاد هاجرت مجموعات صغيرة من شعوب بحر البلطيق إلى فنلندا، وبعد عدة قرون وفي الألف الأول بعد الميلاد إستقر أولئك المهاجرون وأقاموا مجتمعاتهم وكياناتهم المستقلة وفي عام ١١٥٥ غزا الملك السويدي "أريك القديس" فنلندا ونشر فيها المسيحية الكاثوليكية التي سيطرت لمدة ٣٠٠ عام تقريبا وأصبحت فنلندا جزءا من المملكة السويدية، وفي منتصف القرن الثامن عشر، وبالتحديد سنة ١٧٨٨ تأسست عصبة "أنبالا" الفنلندية، وهي حركة إنفصالية تطالب بانفصال فنلندا عن التاج السويدي ونتيجة للحرب مع روسيا سنة ١٨٠٩ تنازلت السويد عن فنلندا إلى روسيا التي جعلها القيصر الروسي دوقية تتمتع بالحكم الذاتي ... إذ أن سلطاته على فنلندا كانت محدودة نظرا لتمتع فنلندا بدستورها القديم ومجلسها التشريعي وحكوماتها الوطنية وقوانينها ومحاكمها وجيشها وعملتها الوطنية التي تم تداولها بدءا من سنة ١٨٦٠، وفي سنة ١٩٠٦ تأسس أول برلمان موحد كما حصلت المرأة على حقوقها السياسية الكاملة لأول مرة في أوروبا ... ولقد حاولت روسيا المتعاقبة جعل فنلندا جزءا من الإمبراطورية الروسية، إلا أن هذا أثار إستياء شديدا ورغبة

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا ◆

عارمة لدى الشعب الفنلندي في الإستقلال وفعلا بعد قيام الثورة البلشفية في روسيا بفترة قصيرة جدا نالت فنلندا إستقلالها في ٦ ديسمبر ١٩١٧ باعتراف كل من روسيا والسويد وألمانيا .. وفي سنة ١٩١٩ تم وضع الدستور المعمول به حاليا والذي أصبحت على أثره فنلندا جمهورية مستقلة ..

بعد أن أعلنت فنلندا إستقلالها، إندلعت حرب أهلية وكانت بين قوات الحمر والبيض وشاركت فيها القوات الروسية المتمركزة في فنلندا وعلى الرغم من إعلان السلام بين فنلندا وروسيا في عام ١٩٢٠ إلا أن العلاقات الفنلندية الروسية ظلت فاترة في العشرينات والثلاثينات، وقد اقترح الإتحاد السوفيتي بعد تأسيسه على فنلندا عام ١٩٣٨ إجراء بعض الترتيبات الأمنية إلا أن المحادثات التي أجريت بين البلدين سنة ١٩٣٩ قد إنتهت بالفشل نتيجة لتعنت الجانب الروسي الذي طلب على إثر ذلك بعض التنازلات في الحدود الفنلندية بدعوى تحسين الوضع الاستراتيجي لمدينة سان بطرسبرغ (ليننغراد سابقا) الروسية ولقد رفضت الحكومة الفنلندية هذه الطلبات التعسفية من الجانب السوفيتي، مما أشعل فتيل الحرب بين البلدين والتي سميت بحرب الشتاء، ودامت قرابة ثلاثة أشهر ونصف الشهر وكانت نتيجتها إستيلاء الإتحاد السوفيتي على جزء من التخوم الجنوبية الشرقية لفنلندا، وبعد الهجوم النازي على الإتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية والذي بدأ سنة ١٩٤١، وجدت فنلندا نفسها مرغمة على التورط في حرب الإتحاد السوفيتي وفي عام ١٩٤٤ أي بعد هزيمة المانيا النازية وإنتصار الحلفاء ومن ضمنهم الإتحاد السوفيتي، وبموجب شروط الهدنة التي عقدت في باريس ، وجدت فنلندا نفسها مرغمة على التنازل عن المناطق التي إحتلها الإتحاد السوفيتي أثناء الحرب، إضافة إلى منطقة "باتسامو" التي كانت بمثابة منفذ لفنلندا على المحيط المتجمد الشمالي ولقد تحسنت

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

العلاقات بين البلدين بعد ذلك وتم توقيع معاهدة صداقة وتعاون سنة ١٩٤٨ والتي تعتبر وثيقة أساسية لتحديد العلاقات بين البلدين.

وبعد إنهاء الإتحاد السوفيتي، توّقد حنين الفنلنديين الخافت تجاه أراضيهم المسلوّبة وأخذ الآلاف منهم يقومون برحلات إلى تلك المناطق يطلقون عليها "رحلة إلى الماضي" عبر قناة تحفها الغابات إلى مناطق "كاريلين" التي استولى عليها الإتحاد السوفيتي السابق وتزدحم الباخرة التي تحمل نفس الإسم بشيوخ وعجائز تبهر بهم إلى مدينة "فيبوري" والتي كانت ثاني أكبر مدن فنلندا قبل أن تجبر على التنازل عنها للإتحاد السوفيتي أثناء الحرب العالمية الثانية، وأصبح السفر الآن أكثر سهولة، ومعظم هؤلاء العجائز ممن ولدوا في تلك المدينة ويأخذهم الشوق والحنين إلى زيارتها بعد أن أجبروا على مغادرتها نهائيا وهم شباب أو أطفال، وتبحر السفينة في قناة "سايبا" التي افتتحت في عام ١٨٥٦ لتربط إقليم البحيرة الشاسع في شرق فنلندا بالبحر، ويبلغ طولها ٤٣ كيلو مترا وتستغرق الرحلة حوالي ١٤ ساعة.

وبموجب عقد مدته ٥٠ عاما تم توقيعه في عام ١٩٦٣ تستأجر فنلندا الجزء الذي يمتد من القناة في الأراضي الروسية (الفنلندية سابقا) وطوله ٢٠ كيلو متر، وتنقل سفن البضائع الأخشاب ولب و الورق من غابات فنلندا إلى خليج فنلندا ومنه إلى الخارج وتعود محملة بالوقود والمواد الخام.

ويبدو الفرق جليا بين الحياة في فنلندا وروسيا عندما تصل الباخرة إلى مدينة فيبوري التي تشتهر بمبانيها الفخمة التي شيّدت في القرن الماضي وشوارعها الواسعة ومنتزهاتها ومعالم أخرى تذكر الزوار بماض تليد، إذ أن المعاناة الاقتصادية قد تركت أثرها على سكان المدينة شأنهم شأن سائر المدن الروسية الأخرى.

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

ويستاء الفنلنديون بصفة خاصة من الحالة التي وصل إليها مبنى المكتبة الشهير وهو من طراز الموجة الحديثة الذي صممه المهندس الفنلندي الشهير "الفارتو" وكما ذكرنا فإن فنلندا قد أُجبرت على التنازل عن عشر مساحتها في الفترة من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٤ وتم إعادة توطين حوالي ٤٣٠ ألف نسمة أو ما يقارب ١١٪ من عدد سكانها.

يقول أحد ركاب الباخرة أنه ترك موطنه في كاريليا وهو في الثالثة عندما تقدمت القوات السوفيتية في أراضي فنلندا في حرب الشتاء ٣٩ - ١٩٤٠، وكان واحداً من ٢٨٠ ألف شخص عادوا إلى المنطقة بعد أن إستعادتها فنلندا في عام ١٩٤١ وتم إجلاؤهم إلى فنلندا مرة أخرى في عام ١٩٤٤ عندما توغل الجيش الأحمر في المنطقة واضطرت القوات الفنلندية إلى التقهقر، ويضيف: من يدري لعلني أعود إليها مرة أخرى بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي وتفكك الجيش الأحمر المرهوب الجانب إذ أنني واحد من ألوف الفنلنديين الذين ما زالوا يحنون إلى تلك الربوع الغالية التي شهدت عدة حروب وصراعات دينية وسياسية عبر القرون والتي ما زال لها أهمية كبرى من الناحية الثقافية والهوية الفنلندية.

رحلة بين المروج الخضراء

لقد تبنت فنلندا سياسة حيادية هدفها الأساسي هو تقوية أواصر السلام والأمن في العالم. وتولى إهتماما حيويا لإنجاح وتطوير الجهود الدولية لقيام نظام عالمي يسوده الأمن والسلام، وحل المشاكل والخلافات بالطرق السلمية، ولقد لخص هذه السياسة أحد أشهر رؤساء فنلندا وهو "أورهوكا كونين" الذي تولى الحكم من ١٩٥٦ - ١٩٨٢ في خطاب ألقاه في الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٦١ بقوله "إننا نجد من أنفسنا أطباء أكثر من أننا قضاة، ولهذا فليس بمقدورنا أن نصدر حكما أو إدانة.. ولكن نحاول تشخيص الداء والبحث عن الدواء..." ولقد جعلت هذه السياسة الحكيمة من فنلندا بلدا يحظى بإحترام دول العالم أجمع، كما أنها إنعكست على سلوك الشعب الفنلندي المحب للسلام والأمن، فلم نشاهد خلال جولتنا في ربوع هذا البلد إثنين يتشاجران أو يضرب أحدهما الآخر ليس لأنه لا توجد خلافات بين أفراد الشعب بل لأنهم يحاولون حل خلافاتهم بالتعقل والروية.

أتصفح هذه المعلومات من المراجع التي اصطحبتها معي في هذه الرحلة، القطار يتمايل بين المروج الخضراء أشبه بمقصورة الطائرة منه بالقطار، النظافة التامة في كل ركن مقطورة مستقلة تحوي مقهي أو مطعما لتقديم الوجبات الخفيفة المغلفة بعناية والمشروبات كما تتوفر الوجبات الساخنة لمن يطلبها، إلا أنها لا تزيد عن نوعين فقط شرائح اللحم الأحمر وقطع الدجاج... وعادة ما تلحق بالقطار مقصورات للنوم بالنسبة للرحلات الطويلة. أكثر ما يلفت النظر في دول الشمال هو النظافة، ليس لها نظير لدى شعوب الأرض الأخرى، المحافظة على النظافة ليس في الملابس فقط بل في كل شيء شوارعهم لا تقل أهمية عن منازلهم، هنا لا يجزأ أي شخص على إلقاء مجرد عقب سيجارة

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

أو ورقة في الشارع، رقابة ذاتية وأي شخص يحاول كسر هذه القاعدة سيواجه بتوبيخ من جميع المارة.

إن الإلتماء الوطني لديهم ليس مجرد إمتيازات يحصلون عليها من حكوماتهم، ولا جوازات سفر يتنقلون بها، ولا ضمانات إجتماعية تقيهم العوز والعجز عند الكبر، إن الإلتماء الوطني لديهم هو المشاركة في تحمل المسؤولية كل في مجاله وكل قدر طاقته في بناء الوطن والمحافظة على سمعته وحماية البيئة التي هي موطن الإنسان ومصدر رزقه.

تلك المساحات الهائلة من المناطق الريفية والشوارع الخارجية نظيفة كأنها لم تطأها قدم إنسان قط لتلوثها، حافظت على نظافتها لأنها لم تتعرض لمن يلوثها تلك المناظر المؤذية التي نشاهدها لأولئك الذين يأكلون ثم يتركون فضلاتهم ويرحلون كالأنعام التي تترك فضلاتها تحتها لا فرق، لا أثر لها هنا مطلقا.

ورغم وعيهم وتحضرهم إلا أنهم لم يتركوا الأمور على علاتها بل سنوا القوانين ووضعوا القواعد وهياؤا العقوبات الصارمة لمن تسول له نفسه الإضرار بالإنسان والحيوان والنبات فإن الذي لا تردعه النصيحة يردعه الزجر، والذي لا يردعه الزجر تؤدبه العقوبة، إنه ليس إنبهارا بالحضارة الغربية كما يحلو للبعض أن يردد، بل هي - وأيم الله - حسرة وأسى نعم إنها لحسرة أن يكون حال هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس هكذا.

كيف تكون هذه الأمة هي القدوة للعالمين وقد أهملت أعظم قواعد السلوك في تاريخ البشرية والتي جاءت أو أخرجت لتعلم الناس بها؟! إن حماية حقوق الإنسان والحيوان والبيئة - إذا جاز التعبير - لم تعرفها البشرية إلا على يد الديانة الإسلامية الخالدة، فليس هناك أمة على وجه الأرض تمارس النظافة الشخصية خمس مرات في اليوم كالأمة

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

الإسلامية، كما أنه ليس هناك أمة تمارس آداب النظام والطاعة والإنضباط خمس مرات في اليوم كالأمة الإسلامية....

رغم أن فنلندا تكاد تطفو على مساحات شاسعة من المياه أنهارا وبحيرات، إلا أن خدمة توصيل الماء والكهرباء إلى المنازل بمقابل وليست مجاناً، وعندنا تنفق الدولة المبالغ الطائلة في توفير الماء العذب والكهرباء للناس، ومع ذلك فالإسراف والتبذير هو ديدن الناس إلا من رحم ربي، ورسولنا الكريم يأمرنا بأن نقتصد في الماء ولو كنا على نهر جار هذا في الوضوء الذي لا تصح الصلاة إلا به فكيف بالأمور الأخرى؟! إنه مجرد سلوك لو هذبناه وحضرناه لوفرننا الملايين من الأموال المهذرة، ولكن نقول مرة أخرى: من لا يردعه النصح تردعه العقوبة، والعقوبة أمر لا مفر منه، فحتى الشعوب المتحضرة أخذت بها ولماذا نذهب بعيداً أو ليس برب العزة هو الذي أنزل القصص فيه حياة لأولى الألباب؟

حوادث السيارات عندنا لم تتوقف بل هي في إزدياد لماذا؟!... لأننا لم نطبق العقوبة الرادعة، عندهم من يتجاوز مجرد خطوط المشاة البيضاء أو من يقف عليها فقد ارتكب خطيئة ينهره عليها رجل الشارع قبل رجل المرور، ورغم أن الخمر مباحة إلا أن من يضبط ملتبساً بشرب شيئاً منها وهو يقود سيارته يودع السجن وإن لم يرتكب أية مخالفة.

أما إيذاء الإنسان السائر على الطريق حتى وإن كان خطأً منه فهو جريمة. لأنه عندهم مثلاً، لو أن إنساناً كان يمشي وتجاوز إشارة المرور الحمراء للمشاة وصادم سيارة فلن يحدث للسيارة أي أذى، ولكن إذا صدمت سيارة إنساناً ما حتى ولو كان هو المخطئ فإنه سيصاب بضرر وفي هذه الحالة يحسب الخطأ على الإثنين مع تشديد العقوبة على صاحب السيارة لأنه وإن كانت إشارة المرور خضراء له فهذا لا يعفيه من المسؤولية تجاه أرواح الناس، أين هذا السلوك من سلوك أمتنا التي هي خير أمة أخرجت للناس؟

توركو أقدم مدن فنلندا...

إن مدينة "توركو" كما ورد سابقا، أقدم من الدولة الفنلندية، وهي مدينة ساحلية سياحية يتحدث سكانها اللغة السويدية إضافة إلى الفنلندية كسائر سكان غرب فنلندا تمتاز بوجود عدة متاحف أهمها متحف الحرف اليدوية وهو عبارة عن قرية وسط المدينة بنيت من أكواخ خشبية على النمط القديم، وكل كوخ عبارة عن حانوت أو معمل صغير للصناعات اليدوية، كصناعة الجلود وملحقاتها من أحذية وسترات وغيرها، وصناعة النسيج والطباعة القديمة والحديد والنحاس، والداخل إلى هذه القرية - المتحف - يشعر وكأنه قد عاد إلى تلك العصور القديمة التي تجسدها أكواخ وطرقات ومصنوعات هذه القرية وملابس سكانها وطريقة حياتهم وطبخهم ونومهم، وهي فكرة رائعة رأيت شبيها لها تمثل بالقرية الفرعونية في مصر.

تشتهر "توركو" كذلك بقلعتها التي يعود تاريخها إلى عام ١٢٨٠ وكاتدرائيتها التي تعود إلى بداية القرن الثالث عشر ومتحف الأدوات الموسيقية التي جمعت من عدة دول، ويسمى كذلك بمتحف "سيبليوس" نسبة إلى الموسيقار الفنلندي "جين سيبليوس" والمتحف البحري الفلكي الذي يضم مجموعة من الأدوات والمعدات البحرية ويعزز تاريخ مدينة توركو البحري.. ومتحف آخر عبارة عن سفينة شراعية قديمة بنيت سنة ١٨٨٧ في مدينة "غوتنبرغ" السويدية أو غوتوبوي كما يلفظها أهلها، وعملت على الخط الملاحى ما بين شمال أوروبا وكندا وأمريكا الجنوبية وأفريقيا، وسفينة شراعية أخرى يطلق عليها "وذة فنلندا" وهي قديمة الصنع كانت تستخدم كمدرسة بحرية لتعليم طلبة المدارس البحرية وتحولت إلى متحف.

إن مشاريع كهذه من تحويل نماذج للسفن القديمة إلى متاحف من أسهل المشاريع التي يمكن تطبيقها في الدول العربية لو تمت دراستها بعناية... كما يوجد متحف آخر للسيارات

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

والاتصالات ويحتوي على نماذج لسيارات قديمة يفوق عددها الخمسين سيارة وكذلك معدات إتصالات كما يوجد متحف للفنون ومتحف للحياة الطبيعية ومتاحف أخرى عديدة.

من الأماكن السياحية الخاصة في مدينة "توركو" الحدائق المغلقة فحديقة النباتات مثلا تضم أكثر من ٥٠٠٠ نوع من مختلف أنواع النباتات والخضروات والفواكه، وحديقة أخرى اسمها "فيهر ماليفا" تضم أنواعا أخرى لهواة الزهور والنباتات، هذا إضافة إلى الجولات السياحية المنظمة والخدمات السياحية الأخرى التي سبق ذكرها عن مدينة هلسنكي.

إن الحديث عن مدينة "توركو" يقودنا إلى الحديث عن النظام السياسي لفنلندا، فنلندا جمهورية مستقلة بموجب التشريع البرلماني الصادر في عام ١٩٠٦ والذي عدل فيما بعد في عام ١٩٢٨ والتشريع الحكومي الذي تم إقراره عام ١٩١٩، السلطة التشريعية من إختصاص البرلمان، والسلطة التنفيذية يرأسها رئيس الجمهورية وتتخذ القرارات في إجتماعات مجلس الوزراء بناء على إقتراحات الوزير المختص في كل مجال وتتولى السلطة القضائية هيئة قضائية مستقلة... ينتخب رئيس الجمهورية لمدة ٦ سنوات قابلة للتجديد وذلك من قبل هيئة انتخابية تسمى "كتور" يبلغ عدد أعضائها ٣٠١ يتم انتخابهم بنفس طريقة انتخاب نواب البرلمان، ويقتصر دورهم على انتخاب رئيس الجمهورية فقط، ومن صلاحيات رئيس الجمهورية إصدار المراسيم والأنظمة، كما أن له الحق في نقض أي مشروع قانون مقدم من قبل البرلمان وذلك بالإمتناع عن التوقيع. وهو إضافة إلى عمله يعتبر القائد الأعلى للقوات المسلحة وله الحق في تفويض سلطته العسكرية هذه لغيره أثناء الحرب.

مع عائلة فنلندية...

وصلنا مدينة "سافونلينا" مساء يوم الأحد والشمس مازالت مشرقة تتألق بأشعتها الدافئة في كبد السماء، المدينة كغيرها من المدن الفنلندية في غاية النظافة والجمال حيث أنها تقع وسط مساحة شاسعة من الغابات والبحيرات، يبلغ عدد سكانها حوالي ٢٩ ألف نسمة وتشتهر بقلعتها التاريخية وتعتبر من مناطق الجذب السياحي، ولقد أنشئت هذه القلعة في سنة ١٤٧٥ وتسمى قلعة "أولا فينلينا" وتحيط بها المياه من كل جانب وتتصل بجسر متحرك مع البر، ويدور هذا الجسر المخصص لعبور المشاة فقط حول طرفه المتصل بالقلعة، وتتوافر في القلعة خدمات الإرشاد السياحي المجانية تقدمها نخبة من المرشحات. تحتوي مدينة سافونلينا كذلك على مدينة ألعاب ترفيهية لجميع الأعمار تضم أكثر من خمسين نوعا من أنواع التسلية والمجسمات، كما تضم متحفا يعود تاريخه إلى أكثر من مائة عام وهو متحفها المحلي الرئيسي، إضافة إلى عدد آخر من المتاحف وتقام في المدينة مسابقات سنوية كسباق اليخوت والتجديف علاوة على النشاطات السياحية الأخرى. والفنادق في هذه المدينة كغيرها من المدن البعيدة عن العاصمة أرخص نوعا ما من فنادق العاصمة وإن كانت في نفس المستوى، ويتوفر في هذه المدينة بالذات نوع خاص من أنواع الإقامة وهو الأكواخ الخشبية في الضواحي والقرى المجاورة المنتشرة بين الغابات والبحيرات والتي توفر إجازة عائلية ممتعة. ولقد جربت هذا النوع من وسائل الإقامة أثناء إقامتي الطويلة في السويد، حيث أن إمتلاك المنازل الصيفية المبنية على شكل أكواخ خشبية أمر شائع ومنتشر بين أفراد الطبقة المتوسطة، إلا أنني وزميلي أردنا تجربة الريف الفنلندي والإقامة في مثل هذه المنازل وسط المروج الغناء، لذا فقد خطر لي الإتصال بعائلة

شمس منتصف الليل ♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

فنلندية كنت أعرفها منذ زمن، وفعلا إتصلت بتلك العائلة وأبدت إعجابي بطبيعة بلادهم ورغبتى الشديدة في الإقامة وسط الغابة، فما كان من تلك العائلة إلا أن رتبت لنا فرصة تأجير كوخ مؤثث بكل ما يحتاج إليه السائح من أدوات الطبخ وفرش النوم والجلوس وتمضية الوقت بعيدا عن صخب المدن وهوائها الملوث بعوادم السيارات والمصانع، وهذا النوع من الإقامة لا يتوافر إلا ما بين منتصف يونيو ومنتصف أغسطس وهي متعة قد لا تدانيها متعة، إلا أن ما يعكس صفو هذه المتعة هو كثرة البعوض خاصة في شهر يوليو.

لقد قررت تلك العائلة تمضية يومين معنا في هذه الغابة، والعائلة مكونة من "بيرتي" الزوج و "أريا" الزوجة وتعمل في التمريض وتحدث الإنجليزية، بينما زوجها من القلة النادرة في هذه البلاد التي لا تجيد الإنجليزية رغم ولعه الشديد بالتعرف على الأجانب ومخالطتهم، وهو مولع أيضا بالطبيعة ولديه إطلاع واسع على طبيعة فنلندا، أسأله من خلال ترجمة زوجته لحدثنا عن الغابات في فنلندا فيقول: تتكون الطبيعة الفنلندية من الغابات الصنوبرية في الشمال، بينما يكثر شجر البلوط في الجزء النوبي، وأغنى منطقة نباتية هي منطقة الجنوب، ويستوطن فنلندا ما يقارب ٦٧ نوعا من الحيوانات منها الدببة والذئاب التي تكثر في المناطق الشرقية والشمالية، بينما تعيش قطعان الوعول أو الرنة كما تسمى هنا، في منطقة "لابلاند" وهي الجزء الشمالي من فنلندا إضافة إلى أنواع أخرى من الحيوانات مثل الثعالب والبط البري والقطاء، كما تكثر الاسماك وخاصة سمك السلمون في الأنهار والبحيرات، وتعتبر الغابات هي رئة البلد التي تتنفس بها، فهي فضلا عن أنها مكان الراحة والإستجمام والسياحة، أيضا مصدر من مصادر الدخل القومي

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

للبلد وذلك في تصنيع وتصدير الأخشاب والتي يطلق عليها الذهب الأخضر أسوة بالنفط الذي يطلق عليه الذهب الأسود والقطن المسمى بالذهب الأبيض.

ولقد سنت الحكومة عددا من التشريعات والقوانين، وفرضت رقابة شديدة لحماية البيئة من التلوث والتصحر أو التدمير المتعمد، إلا أن وعي المواطنين هنا يلعب دورا هاما في المساهمة في حماية البيئة، ويضيف "بيرتي" عاشق الطبيعة: إن سكان الريف هم أكثر عناصر الشعب الفنلندي حيوية، فلم يكن في فنلندا إقطاع ولا سخرة ومعظم الأراضي المزروعة يمتلكها مزارعون يزرعونها بأنفسهم، ولقد نبعت من الريف الملاحم الشعرية والأساطير والأمثال والحكم، وقام بجمع القدر الأكبر من هذه المآثورات الشعبية، الأديب الفنلندي الشهير "إلياس لونروت" ونشرها في ملحمة سميت بـ "كالا فال" عام ١٩٣٥، ولقد ساهمت هذه الملحمة في بلورة الوعي القومي الفنلندي فتم بعد وفاة "لونروت" جمع ما تبقى من هذا التراث، فعدت محفوظات جمعية الأدب في هلسنكي من أضخم المحفوظات في العالم، حيث أنها تحتوي على ١,٥٥٠ مليون مخطوطة مصنفة، كما تم نشر ثلاثة وثلاثين مجلدا في الشعر القديم للشعب الفنلندي وذلك في الفترة من ١٩٠٨ إلى ١٩٥٠ وهذا يعتبر أضخم عمل من نوعه في أي لغة كما تقول مراجع جمعية الأدب الفنلندي.

كما أن هناك العديد من الأغاني الشعبية ذات التراث القديم ولقد كان لجهود العلماء الفنلنديين دور كبير في النهضة الشاملة التي واكبت تطور فنلندا منذ منتصف القرن الماضي، ومن أشهر علمائهم "ماتياس الكسندر كاسترين" الذي عاش في القرن الماضي وكان أول أستاذ للغة الفنلندية في جامعة هلسنكي، ولقد تجول في شمال روسيا وسيبيريا ليدرس لغات الشعوب التي لها صلة قرابة بالشعب الفنلندي ونشرت أبحاثه بعد وفاته في ١٢ مجلدا تحت عنوان "رحلة واستكشاف لبلاد الشمال" وكانت لأبحاثه إسهامات كبيرة في

شمس منتصف الليل ◆—————◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

تصنيف اللهجات المختلفة للغة الفنلندية، والعالم الفلكي "سوند فان" وعالم الكيمياء الحيوية "فيرانن" الحاصل على جائزة نوبل للكيمياء سنة ١٩٤٥ وعالم الغابات العبقري "آيمو كارلو كانيدار" الذي يعتبر موسوعة متنقلة في علم الغابات والنباتات وبالإضافة إلى ذلك فقد كان سياسيا بارعا حيث وصل إلى منصب رئيس وزراء لفترتين، وعالم الإجتماع والجنس البشري "ادوارد ف. مارك" الذي شغل منصب أستاذ علم الإجتماع في جامعة هلسنكي ومن أهم أعماله "تاريخ الزواج الإنساني" و"أصل وتطور المثل الأخلاقية".

تطور المجتمع الفنلندي...

كان لإسهامات أولئك العلماء وغيرهم أبلغ الأثر في انتقال المجتمع الفنلندي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي - زراعي، فلم تكن إسهاماتهم مجرد نظريات تدرس في الجامعات وغرف العلم المغلقة، بل نبعت من البيئة ولها، وتم تطبيق الكثير من هذه النظريات والأبحاث عمليا، ولعل الانفصال ما بين النظريات والتطبيق العلمي هو إحدى آفات المجتمعات النامية حيث أن دور العلماء في الدول النامية ينحصر فقط بين أروقة الجامعات وغرف العلم المغلقة. فعندنا مثلا في الدول العربية نخبة كبيرة من العلماء في كل مجال، ولكن لا أثر لإسهاماتهم إلا في بطون الكتب، فأين هو التطبيق العملي لنظريات مكافحة التصحر والبدائل العلمية لشح المياه واستخدامات مياه البحر في الزراعة وغيرها؟ كان للقاء هذه العائلة وفي هذا المكان بالذات فرصة لا تعوض في واقع الأمر للتعرف عن قرب على الشعب الفنلندي وتقاليده، وأسأل "بيرتي" مرة أخرى عن طريق زوجته التي كثيرا ما شاركت في إبداء الرأي وتوضيح العديد من الأمور عن الأدب الفنلندي، يقول الزوجان: لقد ظهر الأدب الفنلندي بصورته الحالية مع بدايات القرن التاسع عشر متزامنا مع بداية النهضة الشاملة لفنلندا والتي قادها عدد كبير من العلماء في شتى المجالات، فلم يكن هناك أدب فنلندي بمعنى الكلمة قبل هذه الفترة خاصة خلال الستة قرون من الحكم السويدي الذي صبغ فنلندا بصبغته، وعلى الرغم من التحول الذي طرأ على فنلندا سنة ١٨٠٩ من الحكم السويدي إلى الحكم الروسي إلا أن اللغة السويدية إستمرت بعد ذلك كلغة التعبير في فنلندا.

ويعتبر الأدب الفنلندي خلال تلك الفترة ذا إزدواجية حيث كان يعبر عنه باللغة الفنلندية ويعكس الهموم الاجتماعية والقضايا المحلية، وباللغة السويدية التي نحت بالأدب الفنلندي منحا بعيدا عن قضايا المجتمع وذلك لتأثرا لأدب السويدي بالأدب الأوروبي

حيث كانت الرومانسية مزدهرة في ذلك الوقت ومتأثرة بدورها بالأدب الجرمانى أقرب الآداب إلى الأدب والثقافة السويدية، وأول قصة نشرت باللغة الفنلندية كانت تأليف "الكسيس كىفي" سنة ١٨٦٠، ويعتبر "يوهان لودفيك" شاعر فنلندا القومى رغم إستخدامه اللغة السويدية في التعبير وهو مؤلف نشيد فنلندا القومى الذى مازال مستخدما حتى الآن وتوالى بعد ذلك ظهور عدد كبير من الأدباء الفنلنديين والذين يضيق المكان بذكرهم ويقطع تسلسل الحديث سؤال مفاجئ لزميلي لا علاقة له البتة بما كان يدور من نقاش وهو: لقد لفت نظري أثناء تجوالي في بعض مناطق فنلندا كثرة عدد النساء مقارنة مع عدد الرجال وكثيرا ما أشاهد عادة سير النساء بمعزل عن الرجال لماذا؟ وترد "آريا" قائلة: نعم عدد النساء يفوق عدد الرجال في فنلندا وليست لدي إحصائيات حديثة، إنما الإحصائيات السابقة قد دلت على أن لكل ألف ذكر هناك ١٠٦٨ أنثى في المتوسط ويزيد الفرق لصالح النساء في المدن، أما في القرى والأرياف فهو متساو تقريبا، وقد يكون للنزعة الإستقلالية سبب في ذلك حيث يرى هذا بوضوح في المدن، أما في القرى فلعل عمق الروابط الاجتماعية والعائلية سبب في تساوي الكفتين هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى فإن فارق متوسط العمر يميل للمرأة أكثر حيث أن متوسط عمر الرجال ٦٨ سنة والنساء ٧٧ سنة، وتتراوح الكثافة السكانية ما بين ٨ و ١٤ نسمة لكل كيلو متر مربع في المتوسط، و ٢ نسمة لكل كيلو متر مربع في الشمال وتتركز الكثافة السكانية في جنوب غرب البلاد.

ولعل من خصائص الشعب الفنلندي حبه للهجرة والإنتقال بصفة عامة فرغم جمال الطبيعة وتوافر الأراضي الزراعية والمياه العذبة، إلا أن نسبة النزوح والهجرة إلى خارج البلاد قد بلغت واحدة من أعلى المعدلات في العالم نسبة إلى عدد السكان. فقد هاجر مئات الألوف من الفنلنديين من وطنهم خلال الحرب العالمية الثانية حيث نزح إلى السويد وحدها ما يقارب ٣٠٠ ألف مواطن هذا خلاف الهجرات إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وإستراليا.

حديث الغابة...

يوفر جو الغابة فرصة نادرة للإسترخاء والتأمل، وهو مكان لا نظير له للرومانسيين والفنانين والشعراء وغيرهم، ولعل طول النهار وقصر الليل سبب في عدم شعور المرء بالتعب أو الحاجة إلى النوم فسويعات قليلة من النوم كافية جدا للشعور بعدها بالإنتعاش، وهذا في الواقع عكس الشتاء حيث يطول الليل ويشعر المرء بالخمول عند حلول الظلام في وقت مبكر جدا، يقوم زميلي - رغم كسله المعهود عنه - بتقليب قطع اللحم على منضدة الشواء المعدنية، بينما تقوم "أريا" بجمع نوع من الفاكهة يشبه التوت من الغابة ويصنع الإسكندنافيون من التوت المربي وهو حلو الطعم، كما تكثر في بعض جوانب الغابة أنواع مختلفة من فطر عش الغراب أو المشروم كما يسمى باللغات الأوروبية وبعض أنواع هذا الفطر سامة، كما توجد أنواع أخرى من النباتات والثمار السامة وقد حذرنا منها "بيرتي" بخبرته الواسعة في إرتياد الغابات.

يتواصل الحديث بعد فترة التجوال الحر وأسأل الزوجين عن الضمان الإجتماعي وهو أحد مظاهر أو معالم التطور الإنساني في هذه البلدان، فقد تفوقت به على كثير من الدول المتقدمة الأخرى فتجيب "أريا" التي هي أكثر إطلاعا وخبرة من زوجها في هذا المجال "هناك عدة أنواع من الضمان الاجتماعي في فنلندا أهمها هو التأمين الذي يأخذ هو الآخر مجالات عدة منها: التأمين ضد المرض والعجز وإصابات العمل والتقاعد والبطالة وحوادث السيارات وهذه كلها إجبارية تنظمها قوانين حكومية، كما أن هناك أنواعا أخرى من التأمين وهي إختيارية تترك لخيار الفرد في إجرائها وتشمل التأمين على الحياة وضد أنواع خاصة من الحوادث.

ويبلغ سن التقاعد ٦٥ سنة ويحق لمن يصل لهذه السن الحصول على راتب تقاعدي أما لمن لم يصل إلى هذه السن فيصرف التعويض للورثة في حالة الوفاة أو لمدة ثلاث سنوات لمن إنتهت خدمته من العمل قبل بلوغ سن التقاعد مع الأخذ في الإعتبار عدد الأبناء.

أما التأمين ضد المرض فقد بدء تنفيذه في سنة ١٩٦٤ ويشمل جميع المقيمين في فنلندا دون إستثناء ويوفر العلاج للمرضى لقاء مبلغ زهيد كما يتم بموجب هذا النوع من التأمين دفع تعويضات يومية للمرضى الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٦ – ٦٤ سنة بعد اليوم الثامن من المرض ولمدة أقصاها ٣٠٠ يوم عمل، وتحصل الأمهات على إجازات أمومة مدفوعة الراتب لمدة ٢٥٨ يوم عمل، كما يحق للآباء وفق شروط معينة الحصول على إعانات الأمومة لمدة أقصاها ٤٨ يوم. ولقد تم تعديل قوانين إعانات الأمومة لتصل إلى ٨٠٪ من الدخل الشهري بحد أدنى في اليوم، ولقد تم تحديده بحيث يكون هو الحد الأدنى المطلوب لتسيير متطلبات الحياة اليومية.

أما نظام التقاعد فهو نظام مزدوج أي أنه نظامان، النظام الأول وهو حكومي يحقق معيشة لائقة للمواطن عند تقاعده، بينما يحقق النظام الثاني رفع مستوى المعيشة وهو نظام تقاعد العمل ويحق لمن خدم في أي جهة سواء كانت حكومية أو قطاعا خاصا الإنتفاع بالنظامين في وقت واحد. بينما يغطي النظام الحكومي أولئك الذين لم يخدموا في أي جهة كانت قبل وصولهم إلى سن التقاعد ويشمل ذلك راتب تقاعديا إضافة إلى معونة السكن.

ورغم المزايا العديدة لنظام التقاعد في فنلندا إلا أنه خلق مشكلة غير متوقعة للحكومة وهي إرتفاع نسبة المسنين الذين يحصلون على إعانة التقاعد من مجموع السكان، فقد بلغ عدد المتقاعدين عام ١٩٧٨ أربعة إلى عشرة من العاملين، وسوف ترتفع هذه النسبة في

شمس منتصف الليل ♦ ————— ♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

نهاية هذا القرن لتصبح ستة إلى عشرة أي أن أكثر من نصف السكان سيكونون متقاعدين. ويرجع سبب ذلك إلى تدني نسبة المواليد وهذه مشكلة خلقتها المرأة الفنلندية بإحجامها عن الزواج وبناء الأسرة وإنجاب الأطفال وهذا يشمل ربما كل دول إسكندنافية ويشكل الراتب التقاعدي في الوقت الحاضر ٦٦٪ من الدخل في حده الأقصى، ولكي يحصل المتقاعد على راتبه كاملا كما كان قبل التقاعد، عليه أن يعمل لمدة ٣٠ سنة في القطاع الحكومي و ٤٠ سنة في القطاع الخاص.

بينما يشمل التأمين ضد البطالة الأشخاص الذين تجاوزوا السادسة عشرة من العمر ومسجلين لدى هيئات التوظيف وبشرط إبلاغ مكتب التوظيف المحلي... ويصرف بعد خمسة أيام عمل متتالية بدل بطالة يصل إلى ما يقارب ١٤ دولار في اليوم مع الأخذ بعين الاعتبار عدد أفراد العائلة الذين يعولهم من يستحق هذا التعويض، وينقطع هذا التعويض عندما يجد العاطل عملا، كما يمكن للعاطل العضو في نقابة العمال الحصول على مساعدات من نقابته لمدة ٢٠٠ يوم في السنة ولدة أقصاها ٥٠٠ يوم.

أما النوع الثاني من الضمان الاجتماعي فهو الإعانة الإجتماعية التي تقدمها الدولة وذلك بهدف تخفيف عبء إرتفاع مستوى المعيشة وتشمل المعوقين والمجندين للخدمة العسكرية والشباب وأصحاب الأسر والأطفال وما يحتاجون إليه من رعاية ومصاريف إضافية، وتحصل الأسر على مساعدات غير مباشرة وذلك في صورة تخفيضات في الضرائب ومساعدات مالية للمقبلين على الزواج وعند إنجاب الاطفال وذهابهم إلى المدارس ويدخل أيضا ضمن هذا النوع من الضمان المنح الدراسية والقروض الميسرة التي تقدمها الدولة لمساعدة طلبة الجامعات في إستكمال دراستهم وقروض الإسكان.

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

والنوع الثالث من الضمان الإجتماعي هو المساعدات الشخصية التي تقدم لكل حالة على حدة حسب نوع المساعدة المطلوبة للذين يواجهون صعوبات مالية واجتماعية بغض النظر عن تقاضيههم لأجور أو منح نتيجة عملهم، وتقوم الكنيسة بجانب من هذه المهمة كما تقوم بها السلطات المحلية ممثلة في مجلس يتبع البلدية في كل مقاطعة أو مدينة، كما تقوم الدولة على مستوى القطر بهذه المسؤولية أيضا وتنقسم هذه المساعدات إلى قسمين:

القسم الأول: المعونة المباشرة للأفراد والعائلات.

القسم الثاني: الأطفال والشباب والمحتاجين.

فالأطفال يحظون بعناية فائقة صحية وقانونية ومالية حيث تقدم لهم إعانة مالية مباشرة.

وهناك نوع حديث نسبيا من الضمان الإجتماعي يشمل عدة نشاطات أهمها:

- مراكز العناية بالأطفال.
- مراكز الخدمات التي تقدم للمعوقين والعجزة وذوي العاهات والأمراض المزمنة حيث تخصص لهم الدولة كادرا وظيفيا متخصصا لتقديم العون لهم.
- مكاتب تقديم الخدمات القانونية.
- مراكز تأهيل الشباب.
- عيادات الأطفال الخاصة.
- العيادات الخاصة لرعاية الأمهات أثناء الحمل والولادة.
- مكاتب تقديم الإستشارات للأزواج والعائلات.
- مراكز تقديم الخدمات للأمهات غير المتزوجات ويعني تقديم خدمات للأطفال غير الشرعيين وأمهاتهم وهذا وضع قد اعترفت به الدولة!!

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

يتواصل الحديث مع هذه العائلة اللطيفة ربما عن كل شيء في فنلندا، إن هديني من هذا الحوار وطرح الأسئلة الكثيرة هو التعرف على عوامل النجاح والفشل في تجربة فنلندا في تطوير مجتمعتها وما يمكن إقتباسه من هذا التطور وأسأل "بيرتي" الذي كان مسترقا السمع رغم عدم معرفته بما يدور، ماذا عن الإسكان عندكم؟ هل تواجهون مشكلة في الحصول على سكن، وما دور الدولة في توفير هذه الخدمة؟

يقول "بيرتي" إننا نعاني من مشكلة بهذا الخصوص، وهناك أزمة سكن حقيقية رغم المساحات الشاسعة التي تراها، وتتركز هذه المشاكل في المدن الصناعية في الجزء الجنوبي من البلاد حيث الكثافة السكانية في أعلى معدلاتها، ولقد قامت الدولة بوضع سياسة وخطة تنموية شاملة بعد الحرب العالمية الثانية، ولقد قام مجلس الدولة بإسكان بوضع نظام لبناء المساكن سمي بنظام "أرفا" وبموجب هذا النظام تم منح البلديات والأفراد والمؤسسات العمرانية قروضا ميسرة ولآجال طويلة لبناء المساكن والشقق. وتم وقف العمل بهذا النظام في حقبة الستينات وتولي المجلس الوطني للإسكان المسؤولية المباشرة في توزيع قروض الدولة ووضع برامج الإسكان. ولكن بالرغم من ذلك ما زالت الأزمة قائمة وتكاليف البناء مرتفعة.

العلاقات العربية الفنلندية...

لعل المخطوطات التي تتحدث عن العلاقات العربية الإسكندنافية خاصة في فترة "الفايكنغ" هي أقدم المخطوطات المعروفة لنا حتى الآن، ولقد أشار ابن فضلان في كتابه "رحلة ابن فضلان" إلى دول الشمال وشعوبها وتحتوي بعض المتاحف الفنلندية ومنها المتحف الوطني في هلسنكي على عدد من المحفوظات التي يعود تاريخها إلى عصور الحضارة الإسلامية العربية إبان ازدهارها، منها على سبيل المثال نقود عربية قديمة عثر عليها في أماكن متفرقة من فنلندا في مخابئ وحفريات حوت مخلفات "الفايكنغ" يعتقد أنهم جلبوها معهم أثناء أسفارهم ومغامراتهم البحرية في القرن الثامن.

أما في الوقت الحاضر فتضم جامعة هلسنكي وهي أكبر جامعات فنلندا، قسما للدراسات العربية والإسلامية يخول طلابه الحصول على درجتي الماجستير والدكتوراة من نفس الجامعة في نفس مجال التخصص، ويعود الاهتمام بالدراسات الإسلامية والعربية بسبب رسوخ قدم الإستشراق في فنلندا والتي كانت ضمن المواد الأساسية التي تدرس في أول جامعة أنشئت في فنلندا وذلك في مدينة "توركو" وأول أستاذ عين للدراسات الشرقية كان الأستاذ "ماتنيوس ستوديوس" وذلك في الفترة من ١٦٤٠ - ١٦٥٤، وخلفه بعد ذلك عدد من علماء الدراسات الشرقية حتى يومنا هذا. وكان من أشهرهم "غوستاف شوستان" المتوفي سنة ١٨٣٤، وله عدة مؤلفات في مجال الإستشراق، كما شارك عالم النباتات والحيوانات الفنلندي "بيترفورسكول" المتوفي سنة ١٧٦٣ في البعثة التي أمر بها ملك الدنمارك والتي توجهت إلى مصر ثم تابعت سيرها إلى اليمن والتي قضي فيها نحبه نتيجة لتفشي المرض. ولم ينج من هذه البعثة سوى الجغرافي الدنماركي "كاستان نيبور" الذي عاد

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

إلى الدنمارك في نهاية عام ١٧٦٧ حاملا معه مذكرات "فورسكول" وما جمعه من عينات نباتية من البيئة العربية فاق عددها ١٣٠٠ نبتة خلال رحلته.

ولقد صنف هذه النباتات ووضع لها أسماء باللغة العربية واللاتينية كما صدرت مذكراته في كتاب ضخم بعنوان "اليمن السعيد".

أما أكثر المستشرقين الفنلنديين شهرة على الإطلاق فهو المستشرق "جورج فالين" والذي لقب بـ "عبد الولي" وعاش في الفترة من ١٨١١ - ١٨٥٢ حياة قصيرة ولكنها حافلة بالإنجازات، ولقد درس اللغة العربية في جامعة هلسنكي، وبعد حصوله على الماجستير واصل دراسته للغة العربية في جامعة "القديس بطرسبورغ" في مدينة سان بطرسبورغ الروسية على يد أستاذ الدراسات العربية والإسلامية الشيخ محمد عياد الطنطاوي الذي غادر مصر إلى روسيا وأقام فيها ثم مات ودفن في مقابر المسلمين وذلك في عصر رفاعة الطهطاوي. وبعد ذلك توجه "فالين" أو عبد الولي كما تسمى فيما بعد إلى مصر سنة ١٨٤٤ وأقام فيها أكثر من سنة ثم غادرها إلى الجزيرة العربية ومكة التي أقام فيها ٣ سنوات وفيها أسلم وحج واختار لنفسه اسم عبد الولي.

ولقد تعرف عبد الولي أثناء إقامته في الجزيرة العربية على العادات والتقاليد والتراث الشعبي للقبائل، كما درس الطبيعة والمناخ والزراعة، ويتضح حب عبد الولي للجزيرة العربية وشعوبها وعاداتها في مذكراته المحفوظة في جامعة هلسنكي حيث وصف كرم العرب وحبهم للضيف، ومن جملة ما وصف قوله "لم أر في العالم أولادا أكثر تعقلا وأحسن خلقا وأكثر طاعة لأبائهم من أبناء البدو" ولقد حصل عبد الولي أثناء عودته من الجزيرة العربية عن طريق بريطانيا على جائزة الجمعية الملكية الجغرافية كأول أوروبي عبر شمال المنطقة العربية وعين بعد ذلك أستاذا للدراسات الشرقية في جامعة هلسنكي سنة ١٨٥٢

وهي نفس السنة التي توفي فيها ولم يتحقق أمله في نشر الدراسات والأبحاث التي قام بجمعها أثناء إقامته في المنطقة العربية، ودليلا على صدق إسلامه فقد سمع وهو يردد لا إله إلا الله محمد رسول الله على فراش الموت وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، ولا يزال قبره قائما في هلسنكي ويحمل اسمه العربي. وتعتبر مذكراته المحفوظة في جامعة هلسنكي كنزا علميا لا يقدر بثمن. وياليت تحقق إحدى الجامعات أو الباحثين أمنية هذا العالم في تحييص وتحقيق وترجمة مذكراته وأبحاثه ونشرها باللغة العربية لتكون مرجعا لكل باحث عن المنطقة في تلك الفترة بتراتها وعاداتها وأهازيجها الغنائية الشعبية.

ولقد حوى سجل المستشرقين الفنلنديين أسماء لامعة كان لها إسهامات رائعة في مجال الدراسات العربية والاسلامية ولا يتسع المجال لذكرهم جميعا إلا أن هناك جمعية تقوم بنشر دراسات وأبحاث المستشرقين وهي جمعية علمية أسسها كل من البروفيسور "كنوت تالفيست" والبروفيسور "هاري هولما" وعدد آخر من المفكرين الفنلنديين عام ١٩١٧ وتهتم هذه الجمعية بنشر الحضارة والثقافة واللغات الشرقية في فنلندا ويرأسها في الوقت الحاضر البروفيسور "هايكى بالفا" أستاذ اللغة العربية، كما توجد جمعية أخرى إسمها "جمعية المصريين" أسسها البروفيسور "روستلاف" عام ١٩٦٩ وهو رئيسها في الوقت الحاضر، وهدف الجمعية دراسة حضارة مصر القديمة خاصة عصور الفراعنة. كما أن جمعية الصداقة الفنلندية العربية تلعب دورا كبيرا في الوقت الحاضر في تقوية العلاقات الثقافية والإجتماعية بين فنلندا والدول العربية.

لقد أسس الجمعية البروفيسور "أرماس سالونن" عام ١٩٦٣، هذا علاوة على مؤسسات ثقافية أخرى كالنادي الثقافي العربي الذي أسسه المغترب اللبناني الأصل فاروق أبو شقرا أستاذ اللغة العربية بجامعة هلسنكي والصحفي الفنلندي "تيموفور" وترأسه في الوقت

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

الحاضر السيدة "ماريا فالين" وجمعية التضامن مع الشعب العربي وهي جمعية سياسية إجتماعية تأسست عام ١٩٧٥ ومن أهم أهدافها دعم القضية الفلسطينية، وتساهم الجمعية كذلك في إرسال المواد الطبية والمساعدات للفلسطينيين.

أما العلاقات التجارية والاقتصادية بين فنلندا والدول العربية في العصر الحديث فقد بدأت تقريبا في نهاية الخمسينات من هذا القرن بصورة واضحة، ثم تطورت هذه العلاقات حيث وقعت فنلندا مع عدد من الدول العربية إتفاقيات للتعاون الاقتصادي والعلمي سميت هذه الإتفاقيات بإتفاقية "T.T.T" ومن بين الدول العربية التي شملتها هذه الإتفاقيات: الكويت ودول الإمارات العربية المتحدة وجمهورية مصر العربية، وكان من نتائج هذه الإتفاقيات زيادة التعاون في المجال التقني والنقل والسياحة، وأهم ما تصدره فنلندا للدول العربية الأخشاب والورق والآلات والمعدات والأجهزة الكهربائية والطبية والآلات الزراعية وتنفيذ المنشآت والمشاريع العمرانية كبناء المستشفيات والمدارس والموانئ والطرق.

أما أهم ما تستورده فنلندا من الدول العربية فيشكل النفط تقريبا ٩٠٪ من إجمالي الواردات، حيث إستوردت نفطا من ليبيا والعراق والسعودية وقطر. والواقع أن هناك مجالات واسعة للتعاون بين فنلندا والدول العربية خاصة دول مجلس التعاون ومصر وسوريا للإستفادة من التقدم التكنولوجي الفنلندي وعلى الأخص في مجال البحوث الزراعية والحيوانية والتي تحتاجها هذه البلدان كما أن قضية المياه العذبة ستكون هي القضية المصيرية لدول المنطقة في المستقبل القريب، ولا بد أن تحوز إهتماما كبيرا، وفنلندا كسائر الدول الإسكندنافية الأخرى قد قطعت شوطا كبيرا في هذا المضمار كما أنها تحتوي على مساحات شاسعة من المياه العذبة التي قد يكون من السهل مستقبلا نقلها إلى دول المنطقة بعد إجراء الدراسات اللازمة لذلك.

الدعوة الإسلامية في فنلندا...

رب سائل يسأل ماذا عن الدعوة الإسلامية في فنلندا؟ توجهت بهذا السؤال إلى جليسينا في هذه الغابة المترامية الأطراف، ولكن بطريقة غير مباشرة في البداية حيث أن الأسئلة في الحقيقة لم تكن من طرفنا نحن أنا وزميلي بل إننا كنا نواجه بكثير من الأسئلة عن عاداتنا وتقاليدنا وعن تفاصيل الديانة الإسلامية التي تبدو غامضة على "آريا" و "بيرتي" وكثيرا ما كنا نعلق على شرحهما للقوانين الإجتماعية عندهم بما يقابل ذلك في العقيدة الإسلامية من مبدأ التكافل الإجتماعي وفلسفة الزكاة التي تقابلها الضرائب والصدقات والإيمان بالكرامة الإنسانية وغير ذلك. ولقد لاحظت إعجابهما بما نسرد عليهما من معلومات بصورة مبسطة بعيدا عن مواطن الإختلاف بين الإسلام وغيره من الأديان والفنلنديون عادة يبدون أكثر إستعدادا من غيرهم للإستماع والفهم بعيدا عن الرواسب المعقدة لدى الشعوب الأخرى فالشعب الفنلندي من الشعوب أو الدول الأوروبية القليلة التي لم تستعمر أو تستعبد الشعوب الأخرى كما أنها من الشعوب التي ترسخت فيها حرية الاعتقاد والفكر والسلام.

ولقد أثارت دهشتهم تلك المعلومات التي تعرفوا عليها من خلالنا على القوانين والقواعد الإنسانية التي جاء بها الإسلام منذ زمن بعيد والتي تفوقت - بإعترافهما - على قوانينهم التي كانوا يظنون أنها أرقى القوانين الإنسانية التي وضعت لصيانة كرامة الإنسان حتى هذا اليوم ولكن للأسف الشديد الدعاية السيئة التي تقوم بها بعض الجماعات والدول التي تنسب إلى الإسلام وترفع رايته تسيئاً للإسلام أكثر من إدعاءات الحاقدين عليه. هذا ما لاحظناه من مصادر معلومات أهل الشمال. إن البيئة الفنلندية بيئة نموذجية لنشر الدعوة إذا ما تيسر لها دعاء على علم ودراية بتقاليد هذه البلاد.

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

حان موعد الرحيل إلى الشمال، بعد أن قضينا وقتنا ممتعا في مدينة "سافونلينا" وأهلها الطيبين إن أمتع وسيلة إنتقال هي سفن الركاب الصغيرة التي تبحر في البحيرات ما بين المدن، غادرنا المدينة في الساعة التاسعة صباحا ووصلنا المدينة التالية شمالا "كوبيو" في الساعة التاسعة مساء، إثنتي عشر ساعة من التمتع بجمال الطبيعة والأنهار والبحيرات والشلالات وتمخر السفينة عباب الماء العذب، لتصل في بعض المناطق إلى ما يشبه الشلالات حيث تنزل المياه من مرتفع إلى منخفض، هناك على الجانب الأيمن من النهر أو القناة الموصلة بين بحيرتين، حوض أسمتي تدخله السفينة ثم يقفل الباب الخلفي ويفتح الباب الأمامي فينساب الماء ليرفع السفينة إلى مستوى الماء المرتفع ثم تبحر مرة أخرى.

يقود السفينة ربان ومعه أفراد أسرته. الزوجة تهتم بشئون الركاب وخدمتهم في المطعم والفتاة البالغة من العمر الخامسة عشرة عاما تعمل عمل النوتي حيث تقوم بربط حبال السفينة على الأرصفة وحلها مرة أخرى عند الرسو والإقلاع وأعمال الطلاء والأعمال البحرية الأخرى، مرافئ كثيرة على الطريق لخدمة المدن والقرى تتوقف عندها السفينة لنزول وصعود الركاب والأمتعة والبريد وطرود الشحن الصغيرة.

والمرافئ عبارة عن أرصفة خشبية تتفاوت أطوالها ومساحاتها بحسب المدن والقرى التي تخدمها، أراضي شاسعة من البحيرات والغابات والجزر الصغيرة وسط البحيرات وأكواخ الصيادين والمصيفين المتناثرة هنا وهناك.

لم أكن أتوقع أنني سوف أمارس مهنتي في قيادة السفن في هذا الجزء من العالم! لقد سر ربان السفينة سرورا عظيما عندما أخبرته أنني أستطيع تولي مسؤولية قيادة السفينة ريثما يتناول طعام الغداء وعادة ما كان يسلم الدفة لابنته الصغيرة ذات الخمسة عشر ربيعا التي تطمح بأن تخلف أباهما في هذه المهنة... هناك أنواع عديدة من هذه السفن التي

شمس منتصف الليل ♦ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

تجوب بحيرات وأنهار فنلندا وجميعها تسير ألياً وتتراوح حمولتها ما بين ٨٠ - ١٢٦ راكبا وهي مخصصة للجولات السياحية بين البحيرات أو للتنقل ما بين المدن وبعضها البعض يحتوي أغلبها على كبائن أو غرف للنوم واستراحة صغيرة بمثابة مطعم أو مقهى...
إكفهر الجو قبل وصولنا إلى "كوبيو" وبدأ المطر يتساقط خفيفاً وتلبدت السماء بالغيوم السوداء وهي غيوم تحمل الغيث الذي ما لبث أن إنهمر كثيفاً. أخيراً وصلنا مدينة "كوبيو"، مرفأ المدينة يبدو أكبر وأكثر إتساعاً من مرفأ مدينة "سافونلينا" يبلغ عدد سكان "كوبيو" حوالي ٨٠ ألف نسمة أي أنها ثلاثة أضعاف مدينة "سافونلينا" وأنشأها سنة ١٧٨٢ الملك غوستاف الثالث ملك السويد وتحتوي على العديد من المتاحف ومركز سياحي وتمتاز بشاطئ أو مجموعة شواطئ جميلة على البحيرات حيث أن المدينة بمثابة شبه جزيرة في أكبر بحيرات فنلندا أو مجموعة بحيرات "ساينا" وتشتهر المدينة بوجود برج سياحي يتيح التمتع بمشاهدة معالم المدينة وما حولها من شرفته العلوية حيث يوجد مطعم أنيق. والبرج يقع وسط غابة كثيفة الأشجار ويمكن الوصول إليه بواسطة طريق مرصوف ويقع على مرتفع وسط الغابة. وعند مدخل البرج يوجد حانوت لبيع الهدايا التذكارية ومقهى في الهواء الطلق. ويبعد عن وسط المدينة حوالي عشرين دقيقة سيرا على الأقدام كما تحتوي المدينة على الكثير من الحدائق ويقام فيها مهرجان سنوي للرقص والموسيقى، كما تتوفر كذلك خدمات الجولات السياحية بواسطة الحافلات، إلا أن التجول بواسطة القدمين يغدو أكثر متعة.

الرحيل إلى الشمال...

ربما لأن مدينة "كوبيو" مدينة شاعرية حيث تكثر فيها الحداثق والمتنزهات ذات الورود والزهور إضافة إلى الخضرة المنتشرة في كل مكان والماء السلسبيل القراح ينساب يمنة ويسرة والوجه الحسن يضفي على المدينة بهجة وأنسا، ربما لكل ذلك فإن ظاهرة القبلات والعناق في الشوارع والحداثق هنا تبدو أكثر من سائر مدن فنلندا، وهذه الظاهرة لا تخلو منها مدينة أوروبية. وهي بدعة سيئة، وأذكر إنني قد أبديت استيائي - كوجهة نظر شخصية - عندما سألت عن السلبيات في فنلندا، وهي لم تعد تلفت نظر أحد كما كانت في بدايتها، إلا أن الجيل القديم ليس في فنلندا فقط، بل في سائر دول الشمال ما زال متحفظا بل مستاء منها حيث أنها أمور خاصة ليس من اللائق الإتيان بها أمام الناس، إلا أنها والحق يقال ليست بكثرة بريطانيا وألمانيا على الأقل، فالتصرفات التي تخدش الحياء في عرفنا، هي أقل في دول الشمال منها عن سائر دول أوروبا وتلك قضية أخرى سنتناولها في مكان آخر من هذا الكتاب.

قررنا الرحيل في اليوم التالي فنحن الآن في الخامس عشر من شهر يونيو وما زال بيننا وبين جهتنا النهائية ما يزيد على الألف ميل حيث أننا يجب أن نكون في منطقة "نورث كاب" قبل الحادي والعشرين من الشهر حيث يبلغ إرتفاع الشمس فوق خط الأفق أقصى مدى، مما يتيح أفضل رؤية لشمس منتصف الليل.

كانت وجهتنا التالية مدينة "روفانيمي" التي تقع بمحاذاة الدائرة القطبية الشمالية في الجزء الشمالي من فنلندا بين تلال "أونا سفارا" و "كوركالوفارا" ويطوقها نهرا "أونا سيكوي" و "كيميوكي" هنا ينحسر الليل في الصيف والنهار على مدار الساعة هذه المنطقة لا

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

يرتادها أصحاب الرؤس السوداء كما يطلقون علينا في أوروبا – إلا نادرا.. لذا فكثيرا ما كنا نلفت نظر الأطفال خاصة وكأني أرى الدهشة في عيونهم، وأقرأ ما يدور بخلداهم، إنهم يعجبون بشعرنا الأسود، ولكنهم مع ذلك لطفاء يحيوننا كلما سنحت الفرصة لهم بذلك. ورغبة الناس هنا شديدة في التعرف علينا وعلى بلدنا ومازلت رغم مرور مدة طويلة على زيارتي لهذه المدينة، أتلقي رسائل وبطاقات من الذين التقيت بهم في فنلندا وخاصة هذه المدينة ودعوات لتكرار الزيارة مرة اخرى فكما نعجب لحالهم وظروف معيشتهم فإنهم كذلك يعجبون لنا ومنا ويودون معرفة الكثير عن عاداتنا وتقاليدينا.

تضم مدينة "روفانيمي" العديد من المتاحف شأنها شأن باقي المدن الفنلندية وهي أي المتاحف تقليد سياحي يتكرر كثيرا – كما أسلفنا – في معظم مدن دول الشمال، بل والدول الأوروبية الأخرى، كما تشتهر المدينة كذلك بقرية "سانتا كلاوس" أو ما يعرف بالعربية باسم "بابا نويل" وهو شخصية خرافية لرجل يلبس ملابس حمراء وله لحية بيضاء كثة طويلة ويضع على رأسه قلنسوة أو طرطورا طويلا أحمر اللون، ويزعمون أن هذا الرجل يأتي في الشتاء وفي شهر ديسمبر في أعياد الكريسماس عند المسيحيين محملا بالهدايا للأطفال ويركب زحافة تجرها الكلاب ويوزع هداياه في الليل والناس نيام حيث يضعها أسفل شجرة الميلاد وهي شجرة يعتبر وجودها ركنا أساسيا من أركان طقوس الإحتفال بأعياد الكريسماس وتضاء هذه الشجرة بأنوار ذات ألوان مختلفة، كما يعتبر الديك الرومي المشوي هو الآخر من الطقوس المكتملة. ولقد انتشرت بعد ذلك في مختلف دول العالم بدعة الإحتفال بملايس "بابا نويل".

ولقد أقاموا لبابا نويل هذا قرية سياحية كاملة على الخط الوهمي للدائرة القطبية خارج المدينة ويمكن الوصول إلى هذه القرية بواسطة الحافلة من مركز المدينة وتتكون من

كوخ هو عبارة عن بيت بابا نويل وفيه غرفة النوم، ورجل يرتدي ملابس بابا نويل المميزة ومطبخ وبه أدوات مختلفة وأواني، كما تقف الزحافة الثلجية خارج الكوخ، وبالقرب من الكوخ نصبت خيمة تقام فيها طقوس معينة يمارسها شعب اللابلاند وهي عبارة عن إشعال النار داخل الخيمة المكونة من ثلاثة أعمدة متصلة في طرفها العلوي، وتلاوة بعض الكلمات غير المفهومة تصاحبها حركات غريبة يقوم بها رجل يرتدي ملابس شعب اللابلاند وبعد ذلك يضع شيئاً من السخام الأسود على الجبهة والوجنتين وكل هذا مقابل رسوم معينة، كما توجد أيضاً حوانيت لبيع المنتجات والمصنوعات اليدوية من الجلود والزجاج الملون على هيئة حيوانات أو أسماك أو مزهريات، وملابس اللابيون الملونة وغيرها من التحف، كما توجد بالقرية حديقة فيها عدد من حيوانات الرنة.

وتعتبر القرية هذه عبارة عن مزار لبابا نويل الذي إرتبطت شهرته بأعياد الكريسماس الذي يعتبر أكبر أعياد العالم من حيث عدد الأفراد الذين يحتفلون به، فلا غرو أن تقام له قرية كاملة مفتوحة طوال العام للزيارة طالما أنها تدر أموالاً طائلة. وهي فكرة بسيطة في معناها وسهلة في تنفيذها.

ومن ضمن محتويات القرية أيضاً متحف صغير للأدوات والمعدات التي يستعملها شعب اللابلاند، بإمكان الزائر لهذه القرية كتابة عناوين أصدقائه ليقوم بعد ذلك بابا نويل أو بالأحرى هيئة السياحة المسؤولة عن إدارة هذه القرية بإرسال بطاقات التهنئة من بابا نويل إلى أصدقاء الزائر مقرونة بإسمه وإهدائه وهذه الخدمة تقدم بلا مقابل وهي فكرة لطيفة وذات جاذبية بالغة، حيث وجدنا أعداداً كبيرة من الناس صغاراً وكباراً تسجل عناوين أصدقائهم أو أقاربهم على الرغم من أن هذه الخدمة تقدم أساساً للأطفال كما هو مدون إلا أنها تجذب حتى الكبار، ولقد قمنا بكتابة إسمينا وعنوانينا على سبيل التجربة

شمس منتصف الليل ◆—————◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

وبالفعل وصلتنا بطاقتي تهنئة في ديسمبر قبل بداية أعياد الكريسماس من عمنا بابا نويل!
كما يوجد أيضا مكتب ملحق بالقرية يقوم ببيع شهادات عبور الدائرة القطبية وهي
شهادة رمزية توضح أن حاملها قد عبر الدائرة القطبية وتختم بختم ويكتب فيها إسم
الشخص وهي بدعة سياحية، ولقد سارع زميلي بشراء واحدة زاعما أنها قد تنفعه في
الحصول على ترقية أو علاوة!

البحث عن الذهب..

من البدع السياحية الغريبة في شمال فنلندا "البحث عن الذهب"! فقد أقيمت معسكرات خاصة للبحث عن الذهب تسع لمجموعات ما بين ٦ - ١٤ شخصا في المجموعة الواحدة، يقيمون معاً في معسكر واحد من المعسكرات الشبائية بمبلغ وقدره ٤٠٠ دولار تقريبا شاملا الإقامة والوجبات الرئيسية وتدريباً حول البحث عن كتل الذهب الصغيرة العالقة بالأحجار والطيني التي تجرفها مياه السيول والأنهار، ويستطيع السائح أن يحتفظ بما يحصل عليه من كمية مهما كانت، بيد أن ما يتم الحصول عليه لا يساوي - ربما - الجهد المبذول، إلا أنها متعة وهواية قد تبدو جذابة للبعض، ولقد شاهدت شيئاً كهذا في جنوب فنزويلا والعديد من بلدان أمريكا الجنوبية خاصة في حوض الأمازون حيث يقيم بقايا الهنود الحمر إلا أن الأمر هناك مختلف تماماً حيث يقوم بهذه المغامرة، الحالمون بالثراء وسط هوس وتنافس قد يؤدي بحياتهم في بعض الأحيان.

ومن المعالم السياحية الهامة في فنلندا، جزيرة "أولاند" وهي تتبع فنلندا سياسياً وإدارياً، إلا أنها تتمتع باستقلال ذاتي رغم أن الغالبية العظمى من سكانها من ذوي الأصول السويدية ولها علمها الخاص بها وعاصمتها هي مدينة "ماريهامن" وتعني ميناء ماريا حيث سميت على اسم زوجة قيصر روسيا الإسكندر الثاني الذي بني المدينة وذلك سنة ١٨٦١ وكانت قبل ذلك عبارة عن قرية صغيرة تسمى "أوفيرنوس" وكان يقطنها عدد من الصيادين. والوصول إلى المدينة يتم إما بواسطة الطائرات أو سفن الركاب الفاخرة التي تعمل ما بين السويد وفنلندا وعدد سكان المدينة في الوقت الحاضر يقارب عشرة آلاف نسمة وتعتمد على السياحة والتجارة والمصنوعات الخفيفة، ويوجد فيها العديد من المتاحف والفنادق الحديثة وهي تناسب جدا السياحة العائلية.

شمس منتصف الليل ◆ رحلات إلى فنلندا و النرويج وأيسلندا

بعد مدينة "روفانيمي" ستكون وجهتنا مباشرة إلى النرويج حيث أننا سوف ندخلها من أقصى الشمال، والوسيلة المتاحة لهذه الرحلة هي الحافلات أو الطرق البرية سواء باستئجار سيارة خاصة أو غيرها، قررنا أخذ الحافلة حيث أنها أرخص وأكثر راحة.

غادرنا مدينة "روفانيمي" إلى قرية "كاراسيوك" الحدودية النرويجية، إستغرقت

الرحلة ما يقارب الثماني ساعات بواسطة الحافلة.

في محطة الحافلات تعرفنا على رحالتين من سويسرا هدفهما هو منطقة "نورث

كاب" لمشاهدة شمس منتصف الليل، وكانت رحلة ممتعة رغم طول المسافة التي لم نشعر

بها... الحافلة تنهب الأرض نهبا على طرق مرصوفة لا أثر مطلقا لأي مطبات أو حفر.

ها نحن الآن في منطقة اللابلاند وهي منطقة شاسعة جدا تضم الأجزاء الشمالية من

روسيا و فنلندا والسويد والنرويج، وهي عبارة عن سهول وبحيرات ومرتفعات وأنهار

ومناطق جبلية في أقصى الشمال ترتفع إلى ما يقارب ٢٤٨١ مترا وتتمتع بثروات معدنية

مثل النحاس والحديد الممتاز والنيكل وسكانها قوم رحل يرعون قطعان الرنة ولا يسمح

لغيرهم بممارسة هذه الحرفة، ويحق لهم عبور الحدود المشتركة ما بين تلك الدول دون حمل

أية وثائق، كما أنهم يزاولون صيد السمك والصيد البري. ويعتقد أنهم وفدوا من آسيا

الوسطى إلى المناطق الجنوبية، ثم إضطروا بعد ذلك للإتجاه شمالا أمام هجرات اخرى

وغزوات كان يشنها عليهم الفايكنغ، ويطلق عليهم في النرويج "الفينيين" ولغتهم هي اللغة

الفينية الأجرية ويتحدث بهذه اللغة في الوقت الحاضر ما يقارب ١٧٠٠ شخص فقط رغم

أن العدد التقريبي لسكان المنطقة هو ثلاثون ألف نسمة.

ودعنا الأراضي الفنلندية والناس الطيبين فيها واجتزنا الحدود إلى النرويج.